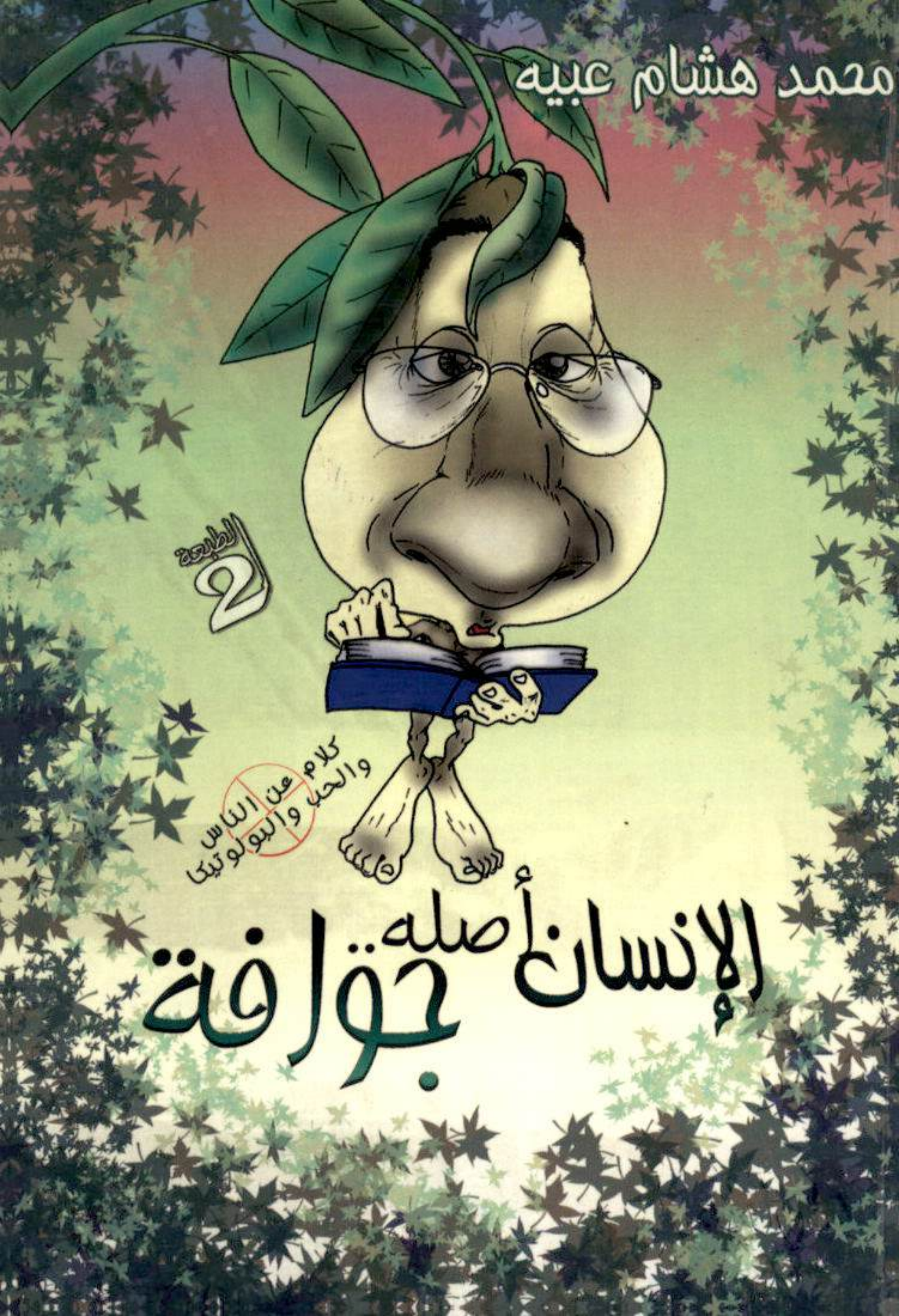
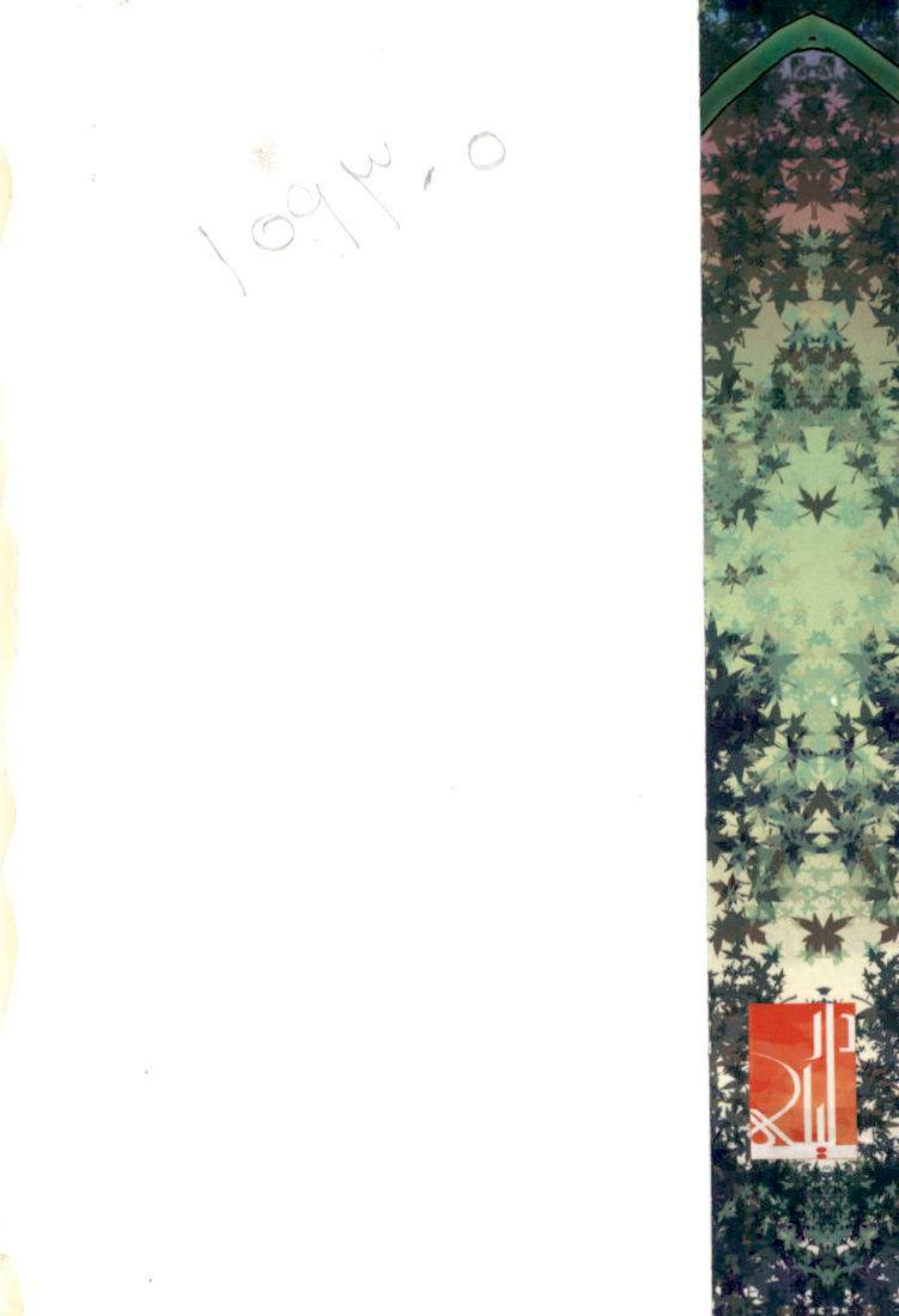


محمد هشام عبيه
الطبعة 2
كلام عن الناس والحب والبولوتيكا
الإنسان أصله جوافة



الإنسان أصله.. جوافة

محمد هشام عبيه

الإنسان أصله.. جوافة

مقالات

د. أحمد خالد توفيق

الإشراف العام:

أ. محمد سامي

* * *

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية:

2009/14984



دار ليلى للنشر والتوزيع

23 شارع السودان، تقاطع مصدق - الدقي

0123885295 / 33370042

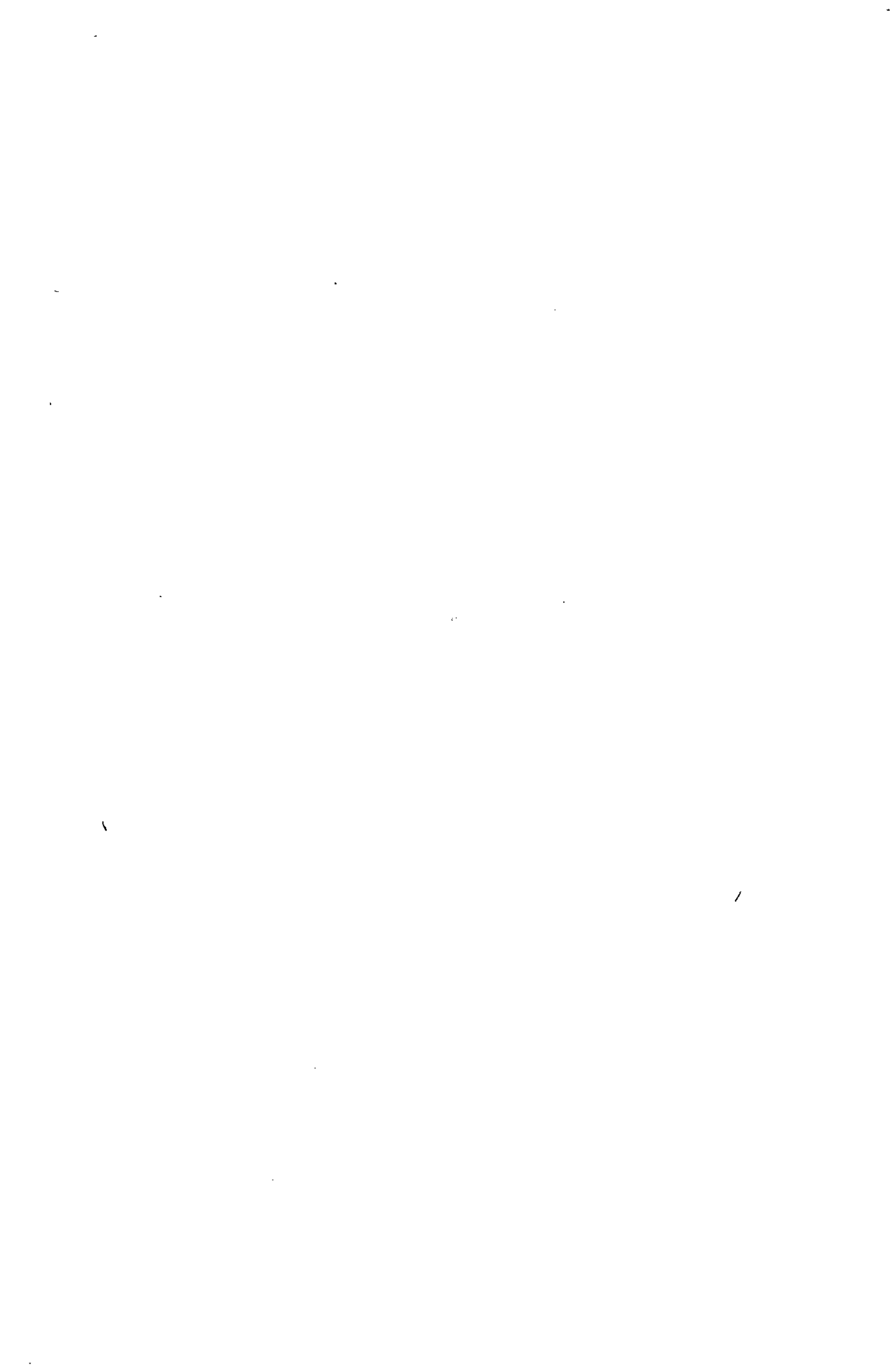
www.darlila.com

محمد هشام عبيه

الإنسان أصله.. جوافة

مقالات

دار ليلى للنشر والتوزيع



مقدمة الطبعة الثانية

هذه الطبعة "طويلة التيلة"!

تجمعني بهذا الكتاب علاقة ملتهبة – وشرعية طبعا!– أشبه بتلك التي تجمع بين الآباء وابنهم البكري "اللمض" الذي يحبونه حب جما، مهما كسر في أثاث البيت واستجلب لهم المصائب من الشارع إلى "أوضة النوم"!.. هو "وش الخير" و"قدم السعد" على صاحب هذه السطور، صحيح أني لم أصبح بسببه عضوا في نادي أصحاب الملايين ولا حتى نادي سماد طلخا، وصحيح أن رصيدي في البنك لم يتضاعف بعد صدوره لأني لا أمتلك حسابا في أي بنك من أصله – ومالها البوسطة؟!– وصحيح أن قائمة المعجبين والمعجبات – الأحياء منهم والأموات– لم

تتضاعف بعد صدوره، وهذا لأني نسيت أن أنشر رقم موبايلي في الصفحة الأخيرة – هو ده بس السبب!– وصحيح أنه لم ينشر عنه في الصحف إلا مقالاً واحدًا يتيمًا كتبه أحد الأصدقاء الجدعان في مقابل وجبة ساخنة من كبدة "هي ورزقها"! ؛ لكنه رغم كل هذه التفاصيل المفرحة، يبقى كتابي الأول، وعندما أتطلع إليه يمتلكني شعور استثنائي يمكن أن تتفهمه عندما تتذكر مشاعرك وقتما أكلت آيس كريم بالفراولة لأول مرة!

عندما صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب عام 2007، تم هذا عبر جمعية تعاونية أهلية مصرية صميمة، جمعتني مع الأصدقاء د.بستاني نعمان، وأحمد عمار، وحسام مصطفى، ودعاء سمير، ومشاركة فنية واعية لنانسي حبيب، وكان أول قبضنا صفحات "الإنسان أصله.. جوافة!"، ويبدو أن "بركة" الفلوس الحلال التي كسبناها من عرق الجبين، والمحبة المتواصلة بين القلوب، دفعت في الكتاب "شيئًا سحريًا" جعلت طبعته الأولى – 1000 نسخة.. كل نسخة تنطح النسخة التانية!– تنفد في أقل من أسبوعين من طرحه في معرض القاهرة للكتاب.

كان المنطق يقول بأنه لابد من طرح الطبعة الثانية في الأسبوع الثالث، لكن الظروف لم تكن تسمح بذلك - مش عارف هي إيه الظروف دي بصراحة، لكنها لم تسمح وخلاص!- وبدلا من إصدار طبعة ثانية من الكتاب في العام التالي أو الذي يليه مثلاً، شاءت الظروف - بس غير الظروف الأولانية! - أن يصدر لي كتابان آخران، وإن بقيت الرغبة والأمل في صدور طبعة ثانية من "الإنسان أصله.. جوافة!" حاضرة وإن جاز القول "آكلة" للواحد!، اعتقادا بأن نفاد الطبعة الأولى في هذا الوقت القصير نسبيا، لم يسمح - على عكس المتصور- للكتاب أن ينتشر أكثر - قبل أن أتأكد لاحقا أنه حظى بإعجاب من اشتروه بدليل أني وجدت منه نسخا تباع بجنيه واحد في سور الأزبكية!

أما وقد منّ الله عليّ - أخيراً- بالفرج، فها هي الطبعة الثانية من الكتاب تصدر بين أيديكم الآن، دون إضافة أو حذف من الطبعة الأولى "تأصيلاً للتجربة" - فوتها دي- لدرجة كدت معها أن أترك الكتاب بنفس الأخطاء المطبعية، لولا إلحاح من الأصدقاء بالتخلص منها لأن "كده عيب"!

وكلـي أمـل ورجـاء بـألا يـداهمكم شـعور بالأسـى - بعـد الانتهاء من قراءة الكتاب- لأن الطبعة الثانية صدرت بعـد أكثـر من عامين، معتقدين بأنه "يـا سـلام" و"يـا حـلاوة" لـو لم تـصدر طبعة ثانية من أصله!

محمد هشام عبيه

أغسطس 2009 – شعبان 1430

أول الكلام..

هذه هي فقرة الإهداءات والذكريات..

وهي فقرة مفضلة لمن يحبـون تتبـع الجـذور والبحـث عـن المشاركين في التكوين..

هي كذلك أيضا لمن يحب سماع إذاعة الأغاني فيكتـشف أن "بعـض" المـصريين لا يزالـون علـى طبيعـتهم البريئـة فيهـدون الأغنيات الحلوة إلى بابا وماما وتيتة وخالتو رغم أن "معظمنا" لم يعد يفهم رقة وإنسانية أن يتذكره ويحبه أحد فيـود أن يـشاركه سماع أغنيته المفضلة..

هي فقرة الثرثرة كما لعلك لاحظت في السطور السابقة!

وبصدق فإنه إذا تعلق الأمر بكاتب هذه السطور فإن قائمـة

الأحباء تطول..

والدي ..والدتي.. أخي الأكبر.. مثلث العطاء والحب والدفء الذي حماني ورعاني ووضعني في ورقة سلوفان رقيقة لم تمنع عني الضوء ومنحتني الأمان في ذات الوقت..

شلة كيمياء وعربي وإنجليزي طوال سنوات الجامعة التى راحت وبقي أثرها عالقا في الروح عصيا على الذوبان.. شلة بص وطل المعجونة بالموهبة والبهجة..

د.أحمد الشامي.. د.أمل أبو الفضل .. رئيسا دولة بص وطل اللذان فتحا أمامي كل الأبواب بكل ثقة الآباء في أبنائهم..- ستتفهم هذا عندما تعرف أن معظم موضوعات هذا الكتاب نشرت في بص وطل- فقط آمل أن أكون مستحقا لكل هذه الثقة.

أستاذي إبراهيم عيسى.. الذي أزال من أمامي الحواجز والسدود واختصر لي كثيرا من المسافات..

د.أحمد خالد توفيق.. لكل ليالي المتعة والرعب التي عشتها فيما يكتب.. ولكل رحابته الإنسانية التي يغمرني بها..

و..

وإليها.. ولازلت أذكر حتى الآن نظرة عيونها الفرحة عندما رأت اسمي مطبوعا لأول مرة في جريدة.. وأذكر لمعة الدبلة في يدها اليمنى - مش عليها اسمي طبعا!..

يا كل الناس الحلوة دي.. أشكركم..

وصباحكم كلكم فل وياسمين.

* * *

محمد هشام عبيه

يناير 2007 - محرم 1428




عن الناس...



حكايات عن البنت الكهربا وشيطان الموتوسيكل وأشياء أخرى!

"قررررب.. قرررررب.. بجنيه واحد وشوف شيطان الموتوسيكل، عفريت الدراجة البخارية، الرجل الذي حير العلماء والأطباء، الرجل الذي زار كل الدول العربية، سوبر مان المصري، ابن طنطا.. البطل عبده المصري.

بهذه الكلمات الحماسية المدروسة بعناية -وكأن من وضعها خبير دولي في الدعاية والتسويق- وقف ذلك الرجل الذي تظهر عليه علامات التعب والإرهاق -من جراء العمل المتواصل طوال الأيام الماضية- فوق المنصة الخشبية الكبيرة ليدعو الجمهور المتزاحم إلى الصعود إلى المسرح الدائري -الذي نصب في أيام قليلة- حتى يتمكنوا من مشاهدة البطل "عبده المصري"، وهو يقود الدراجة البخارية في سرعة شديدة على الجدران الخشبية الدائرية.

وسط حماس الرجل المتزايد بدا "عبده المصري" بملابسه

الحمراء المزركشة وشعره الأشيب وكرشه الذي بدأ في الظهور واثقا من نفسه وهو ينظر إلى الجمهور المتزاحم على شباك التذاكر.. الثقة التي بلغت من فرطها أنه كان يتناول ساندويتش فول في هدوء شديد ثم تبعه بكوب من الشاي الثقيل وسيجارة "كليوباترا" انتهى منها سريعا، ثم توجه في لامبالاة إلى منتصف المسرح الدائري وفي تؤدة وهدوء من اعتاد القيام بمثل هذا الفعل الذي صار روتينا يوميا، جلس على الدراجة البخارية المتهالكة التي يدور محركها العجوز مصدرا صوتا مزعجا، فيدور "عبده المصري" بها قليلا ثم يفعل المعجزة التي دخل من أجلها كل هذا الجمهور المتزاحم.. "لعبة الموت"، كما كان المنادي لا يزال يهتف بذلك خارج المسرح، يقفز "عبده المصري" فجأة بالموتوسيكل على الجدار ويسير في سرعة شديدة في وضع يصعب وصفه "عموديا على الجدران الدائرية الخشبية وموازٍ للأرض"، عدة ثوان.. ثم في سرعة وحتى تكتمل الخطورة يخرج علم مصر ويضعه على عينيه ويرفع كلتا يديه عن مقود الدراجة البخارية، ستون ثانية بالضبط ثم يهبط بالموتوسيكل من على الجدران الدائرية وسط تصفيق وانبهار الجمهور المتراص أعلى المسرح الدائري، فيحيي الجمهور في اعتيادية ثم يخرج من المسرح ليجلس على الكرسي المخصص له

بمنتهى الهدوء حتى يستعد للعرض القادم.

اللافت أن الجمهور كان يستنفد وقتا في الصعود والهبوط من المسرح أكثر بكثير من الوقت الذي تستغرقه "لعبة الموت" الذي لا يزيد عن دقيقة واحدة فقط! كانت هذه الليلة الأخيرة/ الكبيرة لمولد "الشربيني أبو أحمد" في مدينة شربين -بلدي- التابعة لمحافظة الدقهلية الساكنة في شمال مصر "تبعد شربين عن القاهرة نحو 120 كيلومترا"، وهو المولد الذي اعتاد أهل البلدة أن يقام سنويا في النصف الثاني من شهر مايو احتفالا بذكرى "الشيخ الشربيني" الذي تراوحت الروايات ما بين كونه شيخا جليلا معطاءً له من الكرامات التي جعلتهم ينظمون هذا المولد له سنويا، وما بين أنه كان من أوائل الناس الذين سكنوا واستقروا في هذا المكان وهو ما يجعل البعض يرجع تسمية البلدة نسبة له.

كأي مولد مصري، اتسمت الليلة الأخيرة بالزحام الشديد واختلط القادمون من البلاد المجاورة بأهالي البلدة وضاقت الطرقات بالسائرين فيها لدرجة يصعب تصورها، خاصة مع كثافة الباعة الذين يبيعون كل شيء.. الحمص والحلوى -الطقس الأساسي في أي مولد مصري- الفضيات المقلدة، ألعاب الأطفال صينية الصنع رخيصة الثمن، والمزمار الصعيدي المميز الذي

يعزف عليه البائع أعذب الألحان.

بينما تراص في زاوية محددة لهم منذ سنوات أصحاب "لعبة القوة" التي يتنافس عليها الشباب والرجال في محاولة لاختبار فحولتهم وقوتهم الجسمانية من خلال دفع كتلة كبيرة ثقيلة من الحديد المثبت على أربع عجلات صغيرة لأبعد مسافة ممكنة. وعلى مساحة واسعة وقف المنشد بملابسه الريفية المميزة، وهو يتغنى بكلمات الأغنية التي تمتدح الرسول -صلى الله عليه وسلم- وتقدم في ذات الوقت العظات والعبر وهي التي توحد معها الجمهور -أغلبه من الطاعنين في السن- وهم يدورون بأجسامهم ويتمايلون برءوسهم، ويحركون أيديهم يمينا ويسارا في تناغم معتاد من هذه الشعائر الصوفية، ووصل الحماس بأحدهم للدرجة التي جعلته يلتقط الميكروفون من المنشد ليغني بدلا منه، إلا أن حالة التسامي هذه خفتت حدتها فجأة فور أن ظهرت سيارة الشرطة التي تسير في قلب المولد في محاولة لضبط الإيقاع الأمني الذي ينفلت عادة لتظهر السرقات والاشتباكات، وهو الأمر الذي لم يفت على المنشد الذكي الذي سرعان ما التقط الميكروفون مرة أخرى وطفق يتغنى برجال الأمن وشجاعتهم وبراعتهم، ثم عاد ليتغنى بجمال النبي -صلى الله عليه وسلم-

فور أن ابتعدت سيارة الشرطة عن المكان!

وبينما وقف شاب على خشبة مسرح ممسكا بقطعة من القماش الأبيض الملفوف حول نفسه بطريقة محددة وقد أشعل في أحد طرفيها النار، وقف زميل له يشجع الجمهور على دخول العرض السحري الذي يقدمون منه جزءا الآن.

"بجنيه واحد.. ادخل وشوف.. مع مراتك وولادك.. اتفرج على البنت الكهربا اللي التليفزيون بيشتغل لو وصلنا سلكه لجسمها.. وبتولع السيجارة إذا قربناها من بقها.. شوف.. أستاذ التنويم المغناطيسي اللي هيعرف اسمك ورقم بطاقتك لما يشوفك أول مرة من غير ما يتكلم معاك بحرف.. اتفرج على الساحر –مشيرا إلى زميله الآخر– اللي هيقدم عروض خرافية زي اللي بيعمله دلوقتي".

في ذات اللحظة يفرد الساحر قطعة القماش وقد ظهرت سليمة دون أدنى أثر لاشتعال النار فيها منذ لحظات فيكمل زميله وهو يشير إلى شباك التذاكر: "وكله ده بجنيه عشان المولد.. بس عشان المولد.. المولد.. المولد".

الصول عبد الله Pure!

لأن الله رءوف رحيم بعباده، وبدون واسطة والله العظيم – عشان الواحد بيعمل خير دايما زي ما إنتم عارفين!– فإن فترة الخدمة العسكرية بالنسبة لي لم تزد –في صعوبتها– عن شهرين ونصف فقط، بعدها عدت إلى ثكنتي العسكرية في مدينتي الباسلة "شربين" بالدقهلية، شاهرا سلاح "المحو" ضد جحافل "الأمية" التي تحتل وتعشش في أمخاخ أكثر من 45٪ من سكان مصر!، ما حدث في معركتنا مع الأمية من مغامرات ومعارك كفيل بروايته في مجلدات، خاصة بعد النهاية المتوقعة بانتصار الأمية الساحق!، إلا أن هذا على كل الأحوال ليس موضوعنا هذه المرة.. لأنني اليوم سأحكي عن الصول "عبد الله"..

كل من ذهب إلى الجيش يعرف أن أصعب يوم يمكن أن يواجه المرء هناك، هو ذلك اليوم الفاصل ما بين الانتقال من الحياة المدنية "بكل ما فيها من رفاهية وبنات حلوين!"، إلى

الحياة العسكرية "بكل ما فيها من تقشف وانقراض لكل كائن حي به تاء التأنيث!"، ويضيع هذا اليوم في التسكين في العنابر واستلام "المخلة" وهي اختراع مصري عبقري أشبه بـ"الشوال"، ورغم حجمها الصغير فإنك مطالب بأن تضع فيها كل ملابسك وأحذيتك الميري "التي يتعدى عددها الأربعين قطعة" وبوتاجاز بيتكم أيضا إذا تطلب الأمر!، وأن تغلقها مع ذلك بإحكام شديد وبعد هذا عليك أن تضعها فوق ظهرك دون أن تنحني لأنه "أحسن وحوووووووش!".

في اليوم الثاني الذي يبدأ بعد صلاة الفجر مباشرة، يتم تقسيم الأعداد الكبيرة من الجنود إلى تجمعات صغيرة يطلق عليها "السرية"- كل هذه معلومات عادية ومعروفة لكل من شاهد فيلم "الرصاصة لا تزال في جيبي" -نقول هذا لمن ينتوي اتهامنا بأننا نفشي الأسرار العسكرية! - ويكون هناك ضابط مسئول عن هذه السرية وتحت إشرافه يعمل صولان -يعني عدد 2 صول- وحتى الآن لا أعرف هل اختيار الصولين هذا يتم عن عمد -وهذا ما أميل له- أم يتم بشكل غير مقصود؟!، لأن هذين الصولين يكونان هما أكثر الرتب العسكرية ارتباطا بالجنود العاديين، في سريتي كان هناك الصول "سيد".. و.. بالفعل..

الصول"عبدالله"..

كان الاثنان ضدين، الأول موجب والآخر سالب، أحدهما حنون والآخر شديد القسوة، أحدهما يتودد إلينا ويقول الدعابات، والثاني يكدرنا ويدورنا مكتب "يعاقبنا بلغة الجيش"، في الوقت الذي كان فيه الأول يقول لنا في ابتسامة بشوشة "إن شاء الله نقضي أيام حلوة مع بعض" فإن الثاني يقول لنا وهو مكشر تكشيرة كينج كونج "مافيش حد دخل الجيش وماسمعش عن الصول "عبد الله"، ولما أقول أمر يتنفذ وإلا هافرمكم!"، وعندما كان يقترب موعد الإجازة كان الصول "سيد" يبشرنا بأن كل السرية ستنال الإجازة المنتظرة، بينما كان الصول "عبد الله" يقترب منا مبتسما في سخرية قائلا: "ابقى قابلوني لو واحد منكم بس نزل إجازة، ده إنتم لسه جايين أول امبارح، عيال خرعة بصحيح!".

ولا أنسى -أبدا- هذا اليوم الذي كان فيه الصول "عبد الله" يعاقبنا -دون سبب تقريبا- بالوقوف ثابتين -كلوح الخشب كما وضح لنا- دون حركة واحدة في قلب المعسكر في وقت الظهيرة بالضبط، عندما حدثت حركة ما من أحد الزملاء فالتفت أنا بتلقائية/ ببلاهة شديدة للخلف في نفس اللحظة التي التفت فيها

الصول "عبد الله" لمكان الحركة المريبة، وبالطبع لم تجد عيناه سواي فكان أن قرر أن يعاقبني عقاب "إكسترا"!، بالطبع لم تجدِ التوضيحات من نوعية "مش أنا والله يافندم، ده الواد "علي" الله يخرب بيته!"، إلا أنه قد اتخذ القرار المبني على "أنا شفتك بتتحرك يعني هتكدبني؟!"، "لأ طبعا يافندم، ماقدرش!"، "طب ارقد وازحف!" فأفعل ويلامس وجهي الرمال الملتهبة بشمس مايو الساخنة، ثم أزحف كما فعل "توم هانكس" في "إنقاذ الجندي رايان" (قبل أن يعلمه سبلبيرج بالطبع كيف يتوقف عن زحفة البطة العرجاء هذه التي يقوم بها!)، وأنا بداخلي نار كفيلة بشواء المعسكر كله!، بعد انتهاء التكدير الإكسترا هذا، لمحني الصول "سيد" وبدأ في التخفيف عني، مؤكدا أن الصول "عبد الله" يفعل هذا من أجل أن يقوي لدينا القدرة على التحمل لنصبح أكثر صلابة وجلادة وصبرا، لأنه "في الحرب مافيش هزار"، بالطبع لم أقتنع كثيرا وقتها بما قاله الصول "سيد"، حتى إني كدت أقول له وبقايا الرمال في فمي "يا عم ارحمنا من القيم دي.. مش وقته يعني ولا مؤاخذة!"، إلا أني لم أفعل ذلك بطبيعة الحال احتراما للرجل الذي كان يعتبر لنا في هذا الوقت بمثابة قطعة الثلج التي نضعها على جروحنا فتبرد نارها قليلا، إلا أنه بعد أن انتهت خدمتي

العسكرية، ودخلت خدمتي الحياتية اكتشفت كم كـان عـم "سـيد" (كما كنا نحـب أن نناديـه) علـى حـق، ويبـدو أنـه لم يكـن يقـصد الحرب التي قالها في جملته بمعناها الضيق وإنما كان يقصد الحياة بشكل عام، فكلتاهما تحتاجان الصبر والشدة والجلـد وإن اختلفـت الدرجات، وعلى هذا بدأت أفهم أن الصول "عبد الله" لم يكن يمثـل سوى نصف الحياة التي تكـون شـديدة القـسوة والغلظـة والعنـف، بينما كان الصول "سيد" يمثل نـصف الحيـاة الآخـر بكـل حنانهـا وطيبتـها وعطفها، إلا أنه ما يكاد يصيبني بالجنون، أنـي في معظـم الأحوال أجد الحياة تتحول إلى الصول "عبد الله" فقط، الصول "عبد الله" pure! ويغيـب الـصول "سـيد" في مكـان مجهـول، حتـى وإن ظهر فإنه سرعان ما يختفي، تتحول الحياة إلى "تكدير" و"ارقـد.. ازحف" و"تدوير على المكتب" دون أن يكون هناك ابتسامة مشجعة أو تربيت على الكتف أو إجازة حقيقيـة تغـسل القلـب مـن التعـب والهموم.. خلاص والله يا عم "سيد" فهمـت الـدرس.. بـس الـصول "عبد الله" زودهـا معانـا قـوي اليـومين دول.. وبقـى كـتير قـوي في حياتنا بشكل "لايصدكه عقل"! ، ماينفعش نعمل كوكتيـل.. شـوية منك على شوية منه بدل الحياة الـ Pure دي؟!

الميكروباص والبطة والتمر!

إنــه الخمـيس.. إنهــا الثانيــة والنــصف بعــد منتــصف النهار.. "شد حيلكو يا رجالـة".. نظـرات الحقـد والحـسد الـتي تتجسد في "ماشي بدري يا عم النهارده وهتفطـر في البيـت واحنـا اللـي هنفطـر في الـشغل" فـلا أملـك سـوى أن أرد عليهـا بـــ.."يـا جدعان إنتم طول الأسبوع بتفطروا مـع أهـاليكم.. والنهـارده أول يوم أفطره مع أهلي.. أنا قدامي سـكة سـفر.. طيـب ياريـت بـس ألحق أوصل على العشاء"..

أنزل مهرولا على السلم.. جيـد أن "بـص وطـل" في الـدور الثالث فحسب، أتأمل الـشارع في فرحــة.. أرى أتوبيـسي العزيـز رقم "6" يتهادى من على بعد.. هذا هو منقذي دومـا يقـذف بـي مــن "مــصر الجديــدة" إلى "عبــود" مباشــرة دون الحاجــة للقيــام بـــ"ترانزيــت" في رمــسيس.. أنتظــر قدومــه في لهفــة ثــم تكــون الفاجعة.. هناك -دون مبالغة- 6 أشخاص على الأقل يقفون على

سلم الأتوبيس.. إشارة يائسة من يدي وأنا لا أعلم كيف سأتصرف إذا كان السواق "عيل" ووقف! إلا أنه -حمدا لله- طلع راجل ولم يقف بالأتوبيس، وإن لم يتمالك نفسه عندما رآني أشير له فأشار هو الآخر بيده في حركة مزدوجة رائعة إلى الزحام المهول في الأتوبيس ثم إلى عينيه في تصرف بليغ معناه "إنت أعمى مابتشوفش؟!".

فلننتظر.. أصبحت الثالثة عصرا وإذا كنت أحتاج إلى ساعتين من "عبود" حتى أصل إلى مدينتي العزيزة "شربين" فيجب أن أكون في خلال نصف ساعة فقط في قلب "عبود" حتى أستطيع أن ألحق بالإفطار.. نصف ساعة فقط؟ الأمر يحتاج إلى طائرة نفاثة.. حسنا لا داعي للتوفير.."تاااااااكسي!" ولأنه رمضان "زي ما سيادتك عارف يا أستاذ" كما قال لي سائق التاكسي رقم 23 الذي تعطف أخيرا ووقف لي، فكان من الطبيعي أن تصطف السيارات في الشوارع في تناسق بديع لا يكسره سوى أن تتحرك سيارة أو أخرى سنتيمترا واحدا فقط كل ربع ساعة.. ما الحل؟.. مترو الأنفاق.. أين كان هذا الحل العبقري من زمان.. استغرق الأمر نصف ساعة حتى وصلت لأقرب محطة مترو.. الذي فور أن انفتحت أبوابه، حشرت

نفسي فيه حشرا وسط أكوام البشر المتلاصقة دون تمييز ولد عن بنت.. انحشرت.. وضاع صيامي تقريبا في هذا اليوم!

أخيرا.. لاح موقف عبود في الأفق.. بكل فوضويته وضجيجه وعبثيته.. وبدا لي عبود في هذه اللحظة وهو غائب في كوكتيل من سحابات الشكمانات الخربة وكأنه مقبرة "توت عنخ آمون" فيه الأمل "أن أروح بيتنا!" والذهب "أن أجد عربيات فاضية"! وللحظات شعرت بأني السير الإنجليزي "هوارد كارتر" مكتشف المقبرة عام 1922 خاصة بعد أن اكتشفت أن لعنة الفراعنة موجودة أيضا في عبود.. لا توجد سيارات متجهة مباشرة إلى "شربين"!

لذا كان عليّ أن أزاحم الجمهور المتحمس لأن يروح بيتهم هو الآخر حتى استطعت أن ألحق بطرف كرسي في سيارة ميكروباص -الأخيرة فيما يبدو- المتجهة إلى المنصورة.. "منصورة منصورة.. كده يبقى وصلنا الحدود وتلت ساعة وأكون في بيتنا إن شاء الله.. يا مسهل".. وبدماثة مصرية معهودة خيرنا السائق بين أن يُحمل في كل كراسي العربية أربعة أشخاص رغم أن "الخواجة" صممها لحمل ثلاثة أشخاص فقط، وبين أن ندفع

جنيها زيادة عن الأجرة الرسمية المقررة.. لأنه "موسم وكل سنة وإنتم طيبين!"

وبعد فاصل من لغة الحوار الراقية بين السائق وبيننا حفل بجميل الألفاظ التي تكفي لإبطال صيام شهر رمضان بالكامل! تحركت السيارة على بركة الله بعد أن انتصرنا ولم يستقلها سوى العدد المسموح به فقط.. لكن بعد أن دفعنا جنيها إضافيا طبعا!

كانت الرابعة والنصف عندما أصبحت على مشارف الطريق الزراعي.. وبات في حكم المستحيل أن ألحق بالإفطار في البيت.. خاصة أنه لمسافة تزيد عن عشرين كيلو مترا -بسبب زحام السيارات الذي لا يوصف- كانت سرعة السيارة لا تزيد بأي حال من الأحوال عن سرعة الحمار الحصاوي عندما يكون نعسانا!

بدأت أتأمل الشمس وهي تغيب.. وأراقب أسراب الطيور وهي تعود إلى أعشاشها "محظوظين العصافير دول.. هيفطروا في بيوتهم مش ع الطريق زي ناس!".. غاب قرص الشمس تماما وارتفع صوت المؤذن لصلاة المغرب وكنا قد تخطينا ميت غمر بعدة كيلومترات.. هنا بدأ العرض الفريد..

إذ فوجئنا ومعنا كل السيارات المصاحبة لنا في الطريق بشباب زي الفل يقف في منتصف الطريق ليقطعه على كل السيارات ليقدم -إجباريًا- لكل الركاب أكياسا مليئة بحبات من التمر.. وأكوابا بلاستيكية مملوءة بخشاف.. ثم وقف هؤلاء يشيرون إلى موائد الرحمن المنتشرة على جانبي الطريق يدعون الجميع إلى الافطار.. تلقفنا حبات التمر في فرحة.. ثم وجدنا أحد الأشخاص في السيارة يخرج علب بسكويت ويوزعها على الركاب.. وخرج ثالث بزجاجة مياه.. وآخر بزجاجة مياه غازية.. ثم أخرج أحدهم علبة سجائر -أخ.. ما كنا كويسين- وبدأ في توزيعها على من يريد أن يكسر صيامه "بالدخان"!

وانقلبت السيارة إلى مائدة إفطار حقيقية عمادها التمر والبسكويت والسجائر والبهجة والألفة والرضا فحسب..

هل تصدقون أني وقتها لم آكل سوى أربع حبات تمر وقطعتين بسكويت فقط -إضافة إلى أني شممت دخان ثلاث سجائر كاملة- إلا أني أحسست بأني قد أكلت "دكر البط" الذي وعدتني به أمي على الإفطار؟!

سهرة مع "ميكي ماوس"!

كان يوماً مرهقاً لأشد درجة، ولذا كان الوصول إلى البيت بالنسبة لي هو أكبر آمالي في الحياة الذي يمكن في سبيله أن أتخلى عن حلمي الأكبر برئاسة الأمم المتحدة!

هل تعرف الجسد "المتفشفش"؟ نعم.. كان جسمي كله متفشفشا "مع الاعتذار لمراجعنا اللغوي العزيز".

أفتح باب الشقة ثم أدخل.. الجو ظلام شديد.. "فين مفتاح النور.. فين.. فين".. كليك.. نور.. ثم.. "فوووووووو!".. هناك شيء مر بجوار قدمي.. صرصار.. أكيد.. يبدو أن فليت الأصلي لم يعد أصليا لأني بعيني هاتين رأيت ذات الصرصار يرقص رقصته الأخيرة بالأمس وأنا أرشه بالمبيد.. ما علينا.. الصلاة.. ثم إعداد الطعام.. اتفضلوا معانا.. بسم الله.."فووووووو!" مرة أخرى.. هل حدثت طفرة وراثية في الصراصير حتى يصبح حجم الواحد منهم كبيرا لهذه الدرجة.. ما علينا.. تخيلات ما بعد منتصف الليل..

مؤشر الراديو.. هممم.. نجوم إف إم.. "أسامة منير لايزال يُسبل لأحـد الفتيـات.. لا تقـل لـي كيـف عرفـت أنــه يُـسبل وهـو في الراديو.. صوته كله تسبيل!"..

"أصدقائي المستمعين احنا هنـتكلم النهـارده عـن الحـب.. الحب بشكل عام.. حتى الحب بين الكائنات الـ..."... فأر!

ليس هذا "أسامة منير".. إنه أنا هذه المرة.. فأر.. لم يكـن صرصارا يعاني من السمنة.. بل فأرا صغير الحجـم رمـادي اللـون عـريض المنكـبين!.. فـأرا يبـدو أنـه تنـاول عقـارا للهلوسـة أو للشجاعة جعله يبادر بكل صفاقة لأن يقف على الكرسـي المواجـه لي وأنا أتناول الطعام.. حلو جدا.. أنا والفـأر وحـدنا في الـشقة.. أكان لابد يا "أسـامة مـنير" أن تـتكلم عـن الحـب بـين الكائنـات الحية؟!

وبعدين.. ذهبت شهيتي بالطبع عن الطعام.. قمت في بـطء محاولا الإيحاء للفأر بأني لا أنتوي الهجوم عليـه.. لكنـه الـذكي فطن لهذا - وبالمكره- قفز في سرعة إلى كرسي بعيـد عـني بعـض الشيء واختفى بين ثناياه..

ماذا تفعل لـو كنـت مكـاني "كـان عنوانـا لبرنـامج إذاعـي

وتقل دمه- دون كل الكائنات الأخرى حتى يصبح "ميكي ماوس" أشهر شخصية كارتون إلى وقتنا هذا..

لم يعد أمامي بديل.. هدنة مؤقتة.. لابد أنه تعب مثلي تماما.. سأنام حتى الصباح ونستكمل المعركة في الغد.. اتفقنا.. نمت بالفعل ..

ولمدة أسبوع ظللت أبحث عن الفأر في كل الشقة ولم أجده.. يبدو أنني انتصرت "ماتسألش ازاي!" لأن المسكين يبدو أنه عندما لم يجد ما يأكله عندي قرر أن.. يهاجر أو ينتحر!

الإنسان أصله.. جوافة!

كانت فرصة للعودة إلى الجذور.. "العيد فرحة وأجمل فرحة" كما كانت تقول "صفاء أبو السعود" زمان -ثم كفت عن هذا عندما اكتشفت أنه ليس دائما كذلك.. إجازة ليست بطويلة لكنها على كل الأحوال تسمح بلقاء الأهل الذين لا نراهم سوى مرات معدودة في السنة.. فرصة لأن نلتقي مرة أخرى في بيت جدتي الكبير الذي جمع بيننا ما يزيد على خمسة عشر عاما ثم أن كبرنا ككل الأشياء التي تكبر وضاق بنا البيت أو ضاقت بنا حياة الطفولة.. وكان لابد أن نغلق على ذكرياتنا الصندوق وأن نلقي المفتاح في مكان سري لا نتذكره سوى مرات معدودة في العام الواحد.. عيد الفطر كان إحدى هذه المرات..

يومها نزلت من السيارة التي أقلتني إلى القرية العزيزة "كفر الغاب" - أيوه اسمها كده كفر وفيه غاب!- الساكنة على حدود الدقهلية ودمياط وكانت تابعة للمحافظة الأولى حتى

الستينيات ثم انتقلت إلى الثانية بعد ذلك وظلت تابعة لها حتى الآن.. هذا لمن يهوى دروس الجغرافيا.. والتاريخ أيضا!".. أتأمل البيت الكبير الذي كان يجسد لنا جميعا معنى كلمة الحياة منذ سنوات طويلة.. حتى رحلت الجدة.. ورحل معها الوهج والروح والدفء.. صحيح أن المنزل ظل كريما يفتح لنا دوما حضنه، إلا أن هذا الحضن ظل رغم اتساعه يفتقد إلى اللمسة البشرية..

أبحث عن الكلب الذي يحرس البيت بلا كلل منذ ما يزيد على عشر سنوات وكان يهرول إليّ سعيدا فرحا وهو يهز ذيله كمن يلتقي صديقه بعد فراق!.. فلا أجده.. تقول لي خالتي "منذ يومين اختفى ولم نره.. يبدو أنه زهق منا".. وهل تزهق الكلاب؟!.. هممم.. وأين القطة؟! هل هربت بدورها مع الكلب ليواروا خطيئتهم؟!.."معرفش عنها حاجة هي كمان..عشان كده الفئران كترت عندنا".. طيب.

كان الوقت متزامنا مع جني القطن وجمع الأرز.. وهو وقت يعرفه جيدا من تمتد جذورهم إلى الأرياف.. موسم جني القطن هو حفل زفاف الأرض إلى الفلاحين.. هو موسم الخير وجني البهجة.. ستجد الفرحة محفورة على ملامح الجميع وهم

يمارسون أنشطتهم المعتادة في سعادة.. الأطفال —لا تكلمني عن عمالة الأطفال هنا من فضلك– وهم يجمعون بأيديهم الصغيرة القطن المنفتح من البذور.. الأكياس المتلئة عن آخرها.. حتى الأحصنة والحمير التي تجر العربات الكارو المحملة بأكياس القطن ستجد في حركتها فرحة.. فربما تظفر ببردعة جديدة بعد أن يباع القطن.. كنا ونحن صغار نحب شهور سبتمبر وأكتوبر ونوفمبر لهذه الأسباب.. إذ يمكننا أن نلعب فوق أكياس القطن المتراصة في الجرن.. وإذا مللنا.. يمكننا أن نمثل أقوى أفلام الأكشن فوق جبال وتلال القش.. كنت أختار دوما دور الحرامي —ربما لأني كنت أجهز نفسي للمهنة الأكثر ربحا في هذا البلد!– وعندما كان أخي "باسم" يطلق رصاصته الفشنك عليّ في نهاية المطاردة — مسدسه كان غصن شجرة به بروز صغير يصلح لأن يكون الزناد!– كنت أقع على تلال القش في قوة —متأثرا بالرصاصة طبعا!– مطمئنا إلى أن القش سيحميني ولن أصاب بأذى.

العام الماضي حاولت أن اتدحرج —في خلسة من الجميع– على القش.. وكانت الكارثة.. كدت أخبط برأسي في الأرض لولا أني تداركت نفسي في سرعة.. وسندت بيدي.. "غريبة يا أخي

القش اليومين دول ماعادش زي قش زمان!".

بعد تبادل الحديث مع الأهل عن الحياة والبشر والمستقبل المشرق -أيوه مشرق.. اعترض بقى!- قلت فلأمارس نشاطا طفوليا آخر من الأنشطة المحببة.. التسلل إلى الحديقة.. والغوص بقدمي في الطين.. حتى أصل إلى شجرة الجوافة العزيزة الرايقة بالقوي.. فهي لا تمن علينا بالثمار إلا في آخر الموسم.. تبدأ الجوافة -عادة- في الظهور آخر سبتمبر وتصر هي على ألا تطرح ثمارها إلا في أول نوفمبر.. وهذا فيما يبدو سر روعة ثمارها.. طارحة براحتها وعلى رواقة.. منذ سنوات عندما كنت طفلا صغيرا "قصيرا" خفيف الوزن.. كنت أقف على فروع الشجرة حتى ألتقط الثمرة الموجودة في أعاليها.. والتي كانت تستحوذ على ضوء الشمس فتنضج أسرع من غيرها.. هذه المرة اكتفيت بـ"شبة" صغيرة.. والتقطت ثمرة الجوافة التي يمتزج فيها الأخضر بالأصفر في تناسق بديع.. ثم جمعت عدة ثمار أخرى.. وأسرعت بها إلى الأهل فرحا بشطارتي.. لا أكذب إذا قلت بأن هذه الثمار كانت ألذ جوافة أكلتها منذ زمن.. "أيوه مش جايّة من الشجرة على طول.. لازم تبقى جميلة كده".. يقول زوج خالتي ثم يرتدي ثوب الحكمة وهو يكمل: "بس برضه الجوافة

دي مش زي جوافة زمان.. تعرف زمان كنا بنفضل الجوافـة دي عن أي فاكهـة تانيـة.. كانـت للجوافـة ريحـة وطعـم مختلـف.. دلوقت.. تؤتؤ.. انسَ.. ماعادش لأي حاجة ريحة وطعـم.. حتـى البشر.. دلوقت ماعادش ليهم لا لون ولا طعم ولا رائحة.. النـاس بقوا زي جوافة اليومين دول.. ممكن يكون شكلها حلو من بـره.. بس من جوه مالهاش أي طعم".

قلت له: "بس تفتكر مين اللي ماعـادش لـه طعـم الأول.. احنا ولا الجوافة؟"

نظر لي نظرة ذات معنى وهو يأكل حبة الجوافة الأخـيرة ثم قال لي: "هممم.. حلوة دي.. احنا طبعا.. والدليل إن الجوافـة دي فيها ريحـة وطعم زمان.. لأنـها اللي زرعهـا جـدك وجـدتك.. جرب تزرع إنت شجرة جوافة بإيدك.. وابقى وريني طعمها!".

تفتكروا.. كان قصده إيه؟!

القاهرة.. وأنا..!

هي المرة الأولى التي أستقر فيها هنا في القاهرة.. كنت دائم الزيارة لمدينة الألف مئذنة للاستكشاف والبحث إلا أن هذه الزيارات كانت سريعة لا تشبع الجوع ولا تروي العطش.. وهكذا كانت فرصة لشخص "إقليمي" مثلي مبهور بالقاهرة وأضوائها أن يتأمل أحوالها ويراقبها.

في القاهرة يمكنك أن تشعر بأشياء كثيرة ومتباينة في اللحظة الواحدة. يثيرك كل هذا الزحام والفوضى. ويدهشك قدرة البشر على التعامل مع هذه الأمور على أنها من المسلمات.. على أنها من المشهيات التي لولاها لفقدت القاهرة مذاقها وتميزها! ويبدو أن هذا الانسجام الزحامي الفوضوي أشبه بالفيروس.. لأني أنا الآخر لم تزد إقامتي طويلا في القاهرة حتى صرت مثل أهلها.. مستمتعا بالزحام الذي يصعب وصفه دون أن تعيشه. تطربني أصوات الكلاكسات المتتالية التي تنطلق في الأغلب بدون

داعٍ. متفهما كيف يمكن لمسافة تستطيع أن تمشيها على قدميك في عشر دقائق أن تقطعها وأنت تركب الأتوبيس في ما يقرب من ساعة! مقدرا كيف لسائق التاكسي أن يطلب منك بكل أريحية "ورقتين بعشرة" في نفس المسافة التي كنت تدفع فيها لسائق التاكسي في المنصورة جنيهين وأنت متأفف من كل هذا الجشع!

ثم أن جذبتني الألعاب الرياضية التي يلعبها أهل القاهرة. وهي فيما يبدو التي تمنحهم كل هذه النفس السمحة الرحبة التي تتقبل كل الأشياء. أولى هذه الألعاب التي كان من الضروري أن أنجح فيها -لأن الفشل فيها يساوي حياتي- هي عبور الطريق.. حيا! وهي الرياضة اليومية التي أكسبتني رشاقة تقارب رشاقة لاعبي الباليه، وأكسبتني في ذات الوقت بعدا فلسفيا ذاتيا في معنى الموت الذي تراه يحاصرك في صورة سيارات تبحث عن هدف بشري تصطاده هو على الأرجح أنت، وقيمة الحياة التي تتشبث بها في صورة رصيف الناحية الأخرى من الشارع!

ثم بدأت في ممارسة رياضة الجري وراء الأتوبيس، أو وراء الميكروباص، أو وراء العزيز C.T.A وهي الرياضة التي كان يمارسها معي كل أهالي القاهرة في الأغلب. والتي بتكرارها

قطعت نفسي –أقصد– كونت لدي عضلات قوية جدا. وهكذا كان النهار القاهري يضيع في ممارسة هذه الألعاب الخطيرة وفي الصراع مع القوى الخفية من أجل النجاح في الوصول إلى المنزل حيا بأقل قدر ممكن من الإصابات. وهو الأمر الذي نجحت فيه كثيرا ولله الحمد. لأواجه الحقيقة الأسخف التي كنت أهرب منها طوال اليوم: "أنت وحيد.. ستجلس على المائدة بمفردك.. ستأكل الطعام البارد بمفردك.. تفتقد اللمة والهيصة ومشاغبات الأقارب والأصحاب.. تفتقد دفء الاهتمام وحنان الطبطبة.. تتكلم مع نفسك بصوت عال فيتردد صدى الصوت ليثير في داخلك فزعا لا طمأنينة".

ياه.. كل ده يا قاهرة واحنا لسه بالنهار.. أمال بالليل إيه اللي هيحصل؟!

أداجيو.. أداجيو..!!*

يكتبها / د ميشيل حنا

آلمني مشهد في فيلم "اللمبي"، حيث يسخر "محمد سعد/ اللمبي" من "حسن حسني/ عم باخ" لأنه يعزف مقطوعة كلاسيكية للكمان. يبدو "اللمبي" وهو في غاية القرف والضيق وهو يستمع إلى هذه المقطوعة، التي هي ليست سيئة أبدا بالمناسبة، حتى إنه يحطم له الكمان في نهاية المشهد ليجبره على التوقف.. هكذا يرى صناع سينما الهيافة الشبابية الموسيقى الكلاسيكية، وهكذا ينقلون رؤيتهم إلى جمهورهم من الشباب الذي دفع عشرين جنيها ليضحك على مجموعة من الإفيهات، ثم يخرج بأفكار سخيفة يتعامل بها مع الحياة.

الغريب أن هذه المشاهد تضحك الناس فعلا! كثيرون لا يتخيلون أن هناك جمهورا حقيقيا للموسيقى الكلاسيكية، وأن

* أداجيو تعني تبطيء الإيقاع وهي عكس أليجرو.

الاستماع إليها ليس ضربا من الجنون، وأنها من أرقى أنواع الموسيقى إن لم تكن أرقاها، وأنهم هم أنفسهم من جمهور الموسيقى الكلاسيكية، حيث إنهم يستمعون إليها دون أن يدروا كموسيقى تصويرية للأفلام القديمة غير الملونة، والتي كانت تعتمد عليها تماما في إبراز الجو النفسي للمشهد، وذلك قبل ظهور أجيال من الملحنين الذين وضعوا الموسيقى التصويرية للأفلام المصرية بعد ذلك.

يطلق مصطلح الموسيقى الكلاسيكية على الموسيقى الغربية التقليدية، التي بدأت منذ العصور الوسطى واستمرت حتى اليوم، وهي تتضمن السيمفونيات، وموسيقى الحجرة، والأوبرا، وعدة أشكال أخرى. ويطلق هذا الاسم، بمفهوم أضيق، على الأسلوب الذي ابتدعه فنانو فينسيا، "بيتهوفن" و"موزار" و"هيدن"، في القرن الثامن عشر، ويمتد على مدى خمسين سنة حتى القرن التاسع عشر، والذي سار عليه الكثيرون بعد ذلك.

للموسيقى الكلاسيكية تأثير هائل على الروح، (الروح المتأملة التي تريد أن تفهم الموسيقى حقا)، بتحولاتها الدرامية والمشاعر التي تحملها وتعبر عنها، والتي تصل بسهولة إلى النفس، كلغة عالمية غير قابلة لإساءة الفهم. حتى إن الموسيقى

الكلاسيكية للفنان الألماني "فاجنر" تعتبر اليوم إحدى أهم البواعث التي أدت إلى انبثاق الحركة النازية! قد يبدو هذا الأمر بعيدا عن التصديق إذ كيف تؤدي الموسيقى إلى قيام حركة قومية متطرفة أدت إلى اندلاع الحرب في العالم كله، لكن هذا هو الحاصل، ومازال اليهود يلاحقون "فاجنر" ويمنعون عزف موسيقاه في كل مكان على أساس أنها موسيقى معادية للسامية! إنها قوة الموسيقى الكلاسيكية!

ومن المعروف الآن أن بعض المقطوعات الكلاسيكية تساهم في العلاج النفسي، خاصة موسيقى "موزار" (أو موزارت إذا كنت تفضل)، وهناك أسلوب جديد للعلاج النفسي يعتمد على مقطوعات معينة من موسيقى "موزار" فقط! كما عُرِفَ منذ زمن أن الأبقار التي تستمع إلى الموسيقى الكلاسيكية يزيد إنتاج اللبن لديها إلى حد كبير مقارنة بالأبقار التي لم تستمع إلى الموسيقي. وهذا الأمر مطبق في مزارع هولندا. وأنا أكتب هذا الكلام الآن وأنا أحلق مع نغمات الأوبرا رقم 11 لـ"لويجي بوكشريني" من مقام "ري" الكبير، وهذا يساعدني على ملء الصفحة، بغض النظر عن فظاعة التشبيه!

إذن تمهلوا! أداجيو أداجيو! راجعوا أنفسكم وحاولوا إعادة تقييم الأمر وانظروا مرة أخرى إلى الموسيقى الكلاسيكية، يمكنكم البدء بشيء مبهج وأسطوري مثل سيمفونية "شهرزاد" لـ"رمسكي" الروسي العظيم، المشهورة لدينا بألف ليلة وليلة. إذا أردتم الرقة والرومانسية عندكم "شوبان". إذا أردتم الفخامة لديكم "باخ". إذا أردتم الحلم هناك "تشايكوفسكي" وبحيرة البجع. لدينا كل الأذواق هنا!

لماذا إذن وبعد كل هذا، يا "محمد"، يكره الكثير من المصريين الموسيقى الكلاسيكية ويسخرون منها ولا يتذوقونها؟ سيأخذ مني "محمد" الميكروفون الآن ليجيب عن السؤال!

أليجرو .. أليجرو!*

وأنا بأرد عليه!

ذات يوم كنت أركب ميكروباصا من هؤلاء الذين يفرون في شوارع مصر المحروسة ويتمايلون يمينا ويسارا في نعومة كالأفاعي حتى يصلوا إلى الموقف في أسرع وقت ممكن، يومها كان السائق -عرفت فيما بعد أن اسم شهرته رفعت إسبرينة!- يضع شريطا لمغن -هكذا قال لي "إسبرينة"- مشهور جدا في عالم عفاريت الأسفلت، كان المغني يرطن بكلمات غربية تتحدث -صدقني- عن الوحدة الوطنية وعن عيسى النبي ومحمد النبي واللي له نبي يصلي عليه! كان "إسبرينة" يستمع إلى كلمات الأغنية التي تُغنى على خلفية صاخبة من آلات الرزع والتخبيط والصراخ والزغاريد وبعض من "إيييييييه" الشهيرة لـ"شعبان

---

* اليجرو تعني تسريع الإيقاع وهي عكس أداجيو.

عبد الرحيم، وقد بدأ يتمايل في انسجام ونشوة غـريبتين، وقتهـا جاء في بالي ذلك السؤال الذي ذيل به "د. ميشيل" مقاله الـسابق "لماذا يكره المصريون الموسيقى الكلاسيكية ويـسخرون منهـا؟".. الإجابة عند "إسبرينة" يا صديقي العزيز!

لنتخيـل مـثلا أتـوبيس نقـل عـام أو ميكروباصـا يقـوده "إسبرينة" أو غيره، محشوا بالمصريين المساكين العائدين –في نـار شمس الظهيرة– من عملهم الذي يضطهدهم فيه رؤساؤهم لمجـرد أن هذا دورهم في الحياة فحسب، وقـد أمـسك كـل مـواطن بجـسد زميلـه المحـشور في الأتـوبيس خوفـا مـن الوقـوع خارجـه، وقـد تصببوا جميعا بالعرق اللـزج وراح كـل أب يفكـر كيـف سيدخل على أولاده لليوم العشرين على التوالي وهـو لا يحمـل لهـم كيلـو اللحـم الـذي وعـدهم بـه طـويلا، وسـرحت كـل أم في الـسؤال الإجباري اليـومي "كيـف يمكـن أن نعـيش لآخـر الـشهر بالمائـة جنيه المتبقية مـن المرتـب؟"، وبينمـا يـشبك هـذا الفتـى والفتـاة أيديهما معا وهما يفكران في مستقبل قـصة حبهمـا الـتي نـضجت وستحترق قريبا بفعل الظـروف الهبـاب المحيطـة بهمـا.. فجـأة ووسـط هـذا الجـو الجميـل.. انـسابت مـن الـسماعات موسـيقى "فـاجنر" أو "شـوبان" أو الـسيمفونية الخامـسة لــ"بيتهـوفن"..

حسنا دعنا نتصور رد فعل المصريين مع الأخذ في الاعتبار أنهم – في الأغلب– مسالمون؟!

وإذا علمنا أن الشعب المصري يقضي نصف عمره مستقلا وسائل المواصلات ويقضي نصف عمره الآخر في انتظارها، فيمكننا أن نفهم أن معظم الثقافة الموسيقية لأغلبية الشعب المصري تنبع من ذلك الشريط الذي يضعه "إسبرينة" أو غيره في كاسيت الميكروباص.

والأكيد أننا لو صرفنا آلاف الجنيهات من أجل توعية الشعب المصري بقيمة وأهمية الموسيقى الكلاسيكية، وأفهمناهم أنها تزيد من إدرار الأبقار للبن وقد يكون لها نفس التأثير على البشر! ، وقلنا لهم إنه عيب جدا أن يسخر "اللمبي" من عم "باخ" لأنه رمز مهم للغاية في عالم الموسيقى الكلاسيكية، فإن هذه الحملة لن تأتي بنتيجة مؤثرة أكثر مما فعلته أغنية "لؤي" التي يدعو فيها الناخبين لاختيار مرشحي الحزب الوطني، فسقط أكثر من ٧٠٪ من رموزه!

والأصل هنا أن العيب ليس في الموسيقى الكلاسيكية أو في الشعب المصري، وإنما في الوسيط الذي ينقل الأولى للثاني، الوسيط هذا يمكن أن نسميه بيئة ثقافية مثلا، وهي تلك البيئة التي

تصنعها الظروف الاجتماعية والأحوال الاقتصادية والحالة السياسية للبلد، وهي في مجملها عوامل لا يمكن أن تسمح للموسيقى الكلاسيكية بأن تنتشر في المجتمع المصري أو يتقبلها المصريون إلا إذا تم تقديمها بذات الطريقة التي غنى بها "اللمبي" أغنية أم كلثوم الشهيرة "حب إيه اللي إنت جاي تقول عليه"!

هذا -في ظني- هو القاعدة وما عدا ذلك فهو الاستثناء.. لذا ستجد أن هناك شريحة لا بأس بها مطلقا من المصريين تتذوق الموسيقى الكلاسيكية بشكل كفيل بأن يجعل "بيتهوفن" يفكر جديا -وهو في قبره- أن يؤلف سيمفونيته العاشرة التي مات قبل أن ينظمها من أجل عيون هؤلاء المصريين الأبطال الذين لا تزال آذانهم تبحث في نهم عن الموسيقى الكلاسيكية في ظل كل هذه الضوضاء التي تحيط بعالمهم.

أليجرو.. أليجرو.. يا صديقي العزيز.. هذا هو دأب المصريين الآن.. الحياة إيقاعها لاهث بشكل يقطع نفس أي مواطن مصري.. فلا تطالبه بأن يكون أداجيو.. للدرجة التي تجعله يدخل الأوبرا ليستمع إلى موسيقى الحجرة دون أن ينام لأن المكان

ربما أكثر راحة من سريره.. أو لأن يستمع إلى السيمفونية الثانية لـ"بيتهوفن" دون أن يسخر من كل هذا الصراخ والموسيقى "اللي مش راكبة على بعضها"!

هلاّ عرفت لماذا يكره المصريون الموسيقى الكلاسيكية ويسخرون منها.. وهل جاء دوري لأن أسألك أنا هذه المرة.. لماذا لا يستمع الأوربيون إلى روائع "شعبان عبد الرحيم" و"عبد الباسط حمودة"؟!

بلالا بلالا بس أعيش

يكتبها/ أحمد عمار

طبعا متهيألي كده ممكن أعرفكم بنفسي.. ها.. تسمحوا لي؟.. الحقيقة أنا راجل طول عمري في حالي... ماليش دعوة بغيري.. مكبر دماغي ع الآخر.. المهم الحمد لله الواحد بياكل.. بيشرب.. بينام.. وبيـ... المهم.. مالي أنا، ومال اللي بيحصل مع غيري.. إيّاكش تولع.. طبعا ممكن حد فيكم يقول: "يا بخته، وجايب الروقان ده منين؟" وأكيد اللي هيقول كده مايفرقش عني كتير.. (على فكرة بيني وبينكم كده يعني اللي بيقولوا كده كتير).. لكن الأهم بالنسبة لي النهارده هو الإنسان الخنيق – اللي أنا عارفه كويس– اللي دايما يطلع علي زي العمل الردي، ويقول لي: "إنت إيه مش حاسس باللي بيحصل في البلد؟ البلد بتولع يا باشا.. خليك كده في البلالا.."... أيوه هاخلّيني في

البلالا.. بلالا بس أعيش.. مش البلالا أحسن من البهدلة وقلة القيمة، واللي ربنا يجعل كلامنا خفيف عليهم..

عشان ماندخلش في متاهات ووجع قلب تعالوا نجيب الموضوع من الأول....

المشهد الأول.... فلاش باك (ع الآخر)..

حتة مزيكا ناعمة..

الكاميرا تقترب من الحدث.. يظهر في الكادر طفل صغير (اللي هو أنا) وأمامه عملاق ضخم (اللي هو أبويا).. زوووووووووم على وجه الأب ذي التفصيلات الكثيرة... ملامح عادية كان يراها طفلنا (اللي هو أنا برضه) في مخيلته، وكأنها ملامح (العو شخصيا).. شارب ضخم.. حاجبان كثيفان.. خدان "مدلدلين" وأنف كبيييييييييير....

تعود الكاميرا إلى وجه الطفل البائس (برضه أنا).. الرعب يملأ وجهه البريء.. يداه تزتفعان أمام وجهه، وفي جانب الكادر تظهر عصا غليظة يلوح بها الأب الذي يرتفع صوته قائلا:

"مش عايز أسمع منك غير أيوه وحاضر.. إنت فاهم ولا

لأ؟..."

الطفل (أنا) بمسكنة: حاضر يا بابا..

إياك تحشر نفسك في اللي مالكش فيه..

الطفل بنفس المسكنة: حاضر يا بابا..

تخليك في نفسك وبس.. إنت فاهم..

الطفل بمزيد من السهوكة: حاضر يا بابا...

تبتعد الكاميرا تدريجيا، و........

(cut)...

المشهد الثاني... (فلاش باك مش ع الآخر)

حتة مزيكا دوشة...

يظهر في الكادر فصل مليء بالطلاب لا تزيد أعمارهم عن 15 عاما، وأمامهم مدرس قصير لا يكاد يظهر من الأرض، وفي يده عصا (أطول منه بشوية).. بمجرد أن تشاهده لا تملك إلا أن تتذكر تلك المقولة التاريخية الخالدة: "ماتقداااااااااارش" فلا تجد سوى أن تكتم ضحكاتك... وفي وسط ذلك الزخم من الطلاب يظهر ذلك الصبي اليافع (اللي هو أنا) والذكاء ينطق من ملامح

وجهه (شايفين والنبي الحلاوة..)..

تركز الكاميرا على خطوات المدرس (اللـي مـش بـاين مـن الأرض) وهـو يقـترب مـن الـصبي (أنـا.. هـه..)، وفي الخلفيـة تتحول الموسيقى (حتة المزيكا الدوشة) إلى دقات عنيفة تعبر عـن هذا الرعب الذي قفز في قلب الصبي وهو يـرى الأسـتاذ (القزعـة) يقـترب منـه.. يقـف المـدرس أمـام الـصبي، وهـو يلـوح بالعـصا ويقول:

- شوفوا يا بهوات.. الفصل ده كلـه هيتـنفخ النهـارده إلا الواد ده.. شوفوا قاعد مؤدب ازاي... عمري ما سمعـت لـه حـس أبدا لا بالخير ولا بالشر.. دايما في حاله.. لا بيتعب قلبي بأسئلة ولا يحزنون.. مش زيكم يا ولاد الـ.....

تقترب الكاميرا من الصبي الـذي مـازال قلبـه يـدق دقاتـه الصاخبة، وقد بدأ يمتلئ زهوا، ولكنـه زهـو داخلـي لا يمكـن أن يسمح له بالظهور على ملامحه، و.......

(cut)...

المشهد الثالث... (فلاش باك يدوبك)

مفيش مزيكا خالص... فيه أصوات هتافات..

الكاميرا في مكان عال مسلطة على ساحة الجامعة الفسيحة، والطلاب (اللي مش عارفين مصلحتهم) متظاهرين بسبب من الأسباب المعتادة.. تقترب الكاميرا أكثر من هؤلاء الطلاب.. تتحاشى الكاميرا ظهور هذه الضربات الموجعة التي يوجهها أفراد الأمن إلى الطلاب (اللي برضه مش عارفين مصلحتهم) محاولين إعادتهم إلى الطريق المستقيم، ومن بعيد يقف أمام كافيتيريا الجامعة شاب أنيق (اللي هو أنا) يظهر عليه اعتناؤه بفسه (إيه يا واد الحلاوة دي) وهو يشيح ببصره بعيدا عن المظاهرة.. تتجه الكاميرا نحو هذا الطالب (أنا) ومع اقتراب الكاميرا يظهر في الكادر أستاذ يبدو في حلته الأنيقة وكأنه صاحب مكانة رفيعة... يوجه حديثه لذلك الطالب قائلا:

- شوف يا ابني الولاد اللي مش عارفين مصلحتهم بيعملوا إيه؟

- الطالب (أنا): أيوه يا دكتور..

- أنا الحقيقة مبسوط منك قوي يا ابني علشان دايما في حالك، وعشان كده قررت أرشحك لجايزة الطالب المثالي..

- شكرا يا دكتور..

- أما بقى الأولاد دول فاحنا هنعرف نربيهم ازاي.. و...

...(cut)...

المشهد الرابع... (مافيش فلاش باك..)

موسيقى حزايني...

الإضاءة خافتة.. الكاميرا تقترب من ذلك الشاب اليافع (أنا طبعا)، وهو يغط في نوم عميق.. تتسلل الكاميرا تدريجيا إلى داخل رأسه لترى ذلك الكابو... أقصد الحلم الجميل الذي كان ينعم به.. يظهر في الصورة مجموعة محترمة جدا يظهر على ملامحهم أنهم أصحاب سلطة ونفوذ يدقون باب بيت ذلك الشاب (طبعا عارفين إنه أنا) بكل هدوء واتزان.. يفتح لهم الباب... يقولون له:

- إنت فلان الفلاني..

- الشاب: أيوه أنا.. مين حضراتكم؟

- وإنت مالك.. يلاّ يا حبيبي قدامنا..

لا تظهر الكاميرا ذلك (القفا التمام) الذي نزل على الشاب، كما مُسحت من الشريط تلك الصرخة المكتومة التي خرجت من فمه.. وتنطلق الكاميرا فجأة -متخطية تلك اللقطة

التي يظهر فيها بطلنا وهو في غرفة مظلمة يبدو مصلوبا وضربات السوط تنزل على ظهره- إلى مكتب فخم يجلس عليه رجل ذو طلعة بسامة، ونظرة تبث الطمأنينة في النفوس يوجه كلامه إلى الشاب الذي بدا في كامل أناقته ووجاهته!!!

احنا بنعتذر لك عن الغلطة الرهيبة دي.. أصل اسمك "فلان الفلاني" يشبه قوي اسم "علان العلاني" اللي احنا كنا بندور عليه.. تقدر تروّح دلوقتي.. ومش عايز أشوف وشـ...

...(cut)

دلوقتي بقى بعد ما اتعرفتم عليّ كويس وعرفتم قصتي.. أقدر أقول لكم إني من ساعة ما شفت الكابو... قصدي الحلم ده اتخذت قرارا خطيرا.. قررت إني ماكونش بعد كده في حالي، أيوه هاقول اللي في نفسي... هاعبر عن اللي جوايا.. هاصرخ وهاقول:

مالها البلد.. ما هي زي الفل.. والحكومة مش عارفة تعمل إيه ولا إيه.. ربنا يخليها لينا يا رب...

بس خلاص.. أنا قلت اللي في نفسي وبالعند في الواد الخنيق ده اللي كلمتكم عنه.. ونصيحة ليكم اوعوا تسمعوا كلامه..

ثورجي ثورجي.. بس أعيش!

وأنا برضه بأرد عليه!

يقول عليّ أصدقائي إنني ثورجي وبتاع هيصة وصوت عال

وأنا ورحمة جدتي مش كده خالص يعني اللي يقول الحق واللي يدافع عن نفسه يبقى ثورجي وصوته عال أمال فين حقك كمواطن يا محترم فين حقك كبني آدم يا جدع فين حقك كإنسان مش.... ولا مؤاخذة.. يعني إنت لو شفت النار والعة في بيت الجيران تسيبها تحرق البيت لأنه مش بيتكم مع إنها بكرة ويمكن النهارده ممكن بعد ما تخلص على بيت جيرانكم تيجي على بيتكم..أنا شخصيا ماعرفش الناس اللي عايشة في البلالا دي عايشة ازاي -زي واحد صاحبنا خنيق إنتم عارفينه كويس- يعني البلالا دي طعمها حلو قوي للدرجة دي..عموما الإنسان لا يختار مصيره.. أنا كده.. خلقتي كده.. وبعدين لو رجعنا للخلف قليلا لفهمنا أصل الحكاية...

صيف 1986

كنت لم أتجاوز السنوات الست من عمري عندما كنت ألعب الكرة مع "بنت الجيران" -كورة ماتفهمونيش غلط- كنا سعداء للغاية ونضحك في براءة حقيقية.. عندما ظهر "حمقُة" بجسمه الضخم وثقل دمه وصمم أن يلعب معنا ولما كنت أنا و"باسنت" بنت الجيران لا نطيقه ونشعر بالغثيان لمجرد ظهوره أمامنا فقلت له بذوق وشياكة:

"سوري حمقُة.. احنا مش بنلعب مع عيال رخمة!"

فيها حاجة دي.. كنت محترم جدا قدامكم أهه.. قلت رأيي وده حقي.. حمقة بقى ماقتنعش وصمم يلعب معانا بالقوة وأنا بقى ماحبش إن حد يفرض عليّ حاجة بالقوة ولأني عارف إن "حمقُة" عينه من "باسنت" وعاوز يترسم قدامها ولأنه شايف نفسه شوية فعرفت أنه لم يعد هناك بديل إلا إننا نتخانق.. استعنا ع الشقا بالله.. وحتى لا أؤذي مشاعركم الرقيقة يكفي أن أقول لكم إن حجم "حمقة" كان ضعف حجمي وأن كف يده عندما نزل على وجهي في آخر المعركة كان هذا كفيلا بإنهائها لصالحه.. صحيح أني عدت إلى بيتنا متخرشم وصوابع "حمقُة"

لسه معلمة على خدي وكم قميصي مقطوع بس أهم حاجة إن "حمقة" مالعبش معايا غصب عني.. ولما قلت لبابا على اللي حصل.. قال وهو بيطبطب على كتفي:

"كده إنت جدع.. ماتسيبش حد يفرض عليك حاجة إنت مش بتحبها.. ولو على جثتك.."

شتاء 1993

كان الأستاذ "أنيس" يشرح مسألة عويصة في الجبر، ولأن فصلي 3/3 كان معروفا بأنه فصل المشاغبين في مدرستنا الإعدادية فلم يكد الأستاذ "أنيس" يلتفت للسبورة ويعطي ظهره لنا حتى كان معظم الفصل يبدأ في الرغي والهيصة والكلام والمسخرة، يومها هاج الأستاذ "أنيس" وماج ومسك الطباشيرة ورماها في الأرض بعنف وطلب من الفصل كله أن يقف حتى يعاقب كل من فيه بالضرب بالخرزانة الضخمة التي يمسكها بيده، ولسوء الحظ -أو حسنه بقى ماحدش عارف- كنت جالسا في التختة الأولى وفي الصف الأول كمان وهكذا كنت أول من سيطبق عليه العقاب ولأني كنت متابعا باهتمام لشرح الأستاذ "أنيس" ولم أقم بأي مشاغبات فوجدت أنه من الظلم -البين كمان- أن أضرب مع باقي الفصل

فرفضت أن أمد يدي له حتى ينزل عليها بالخرزانة، طبعا شاط الأستاذ "أنيس" وقال لي:

افتح إيديك ياله.. ماتعمليش فيها ثورجي من بتوع حقوق الإنسان!

قلت له: ثورجي إيه بس.. أنا ماغلطتش وماتكلمتش يبقى ليه أتعاقب؟

رد عليّ الأستاذ "أنيس": كده.. وكمان بتقاوح.. افتح إيدك ياله..طيب والله ماحد مضروب في الفصل إلا إنت..

تتوقعوا نتيجة الصدام ده إيه؟!

إحم.. طبعا "قوى الغرب الاستعمارية" انتصرت وانضربت أنا.. صحيح لمحت الواد "حمقُة" بيضحك قوي ومنجعص.. بس مش مهم المهم إني قلت رأيي برضه.. بالعند فيك يا "حمقُة"..

ربيع 2001

كنت محمولا على الأعناق وأنا أهتف من كل قلبي "اللي بيضرب في العراق، بكرة هيضرب في بولاق"، ويردد الهتاف

ورائي الآلاف من الشباب الحلوين الذين يسيرون في مظاهرة حاشدة في قلب الجامعة ضد الغزو الأمريكي للعراق، كانت المظاهرة ملتهبة بشدة ووصلت لذروتها عندما أمسكت بالعلم الأمريكي ثم سكبت عليه شوية جاز وناولني صديقي المدخن ولاعته وهوووب.. اشتعلت النيران في العلم الأمريكي وسط تصفيق وهتاف وهدير الآلاف، كان رجال الأمن المركزي اللطاف جدا يحيطون بنا والقنابل المسيلة للدموع بين إيديهم -ع الندهة- ، والغريب أن المظاهرة لم تهدأ بعد أن أشعلنا النار في العلم الأمريكي بل ازدادت اشتعالا واقتربنا من سور الجامعة نريد أن نتجاوزه للخروج إلى الشارع، وقتها بدا أن صبر الضابط الكبير قد نفد فلمحته يقترب مني وهو يقول لي ضاغطا على الحروف وهي تخرج من بين شفتيه:

"خلاص يا حبيبي.. كفاية كده بقى.. مش قلتم الكلمتين اللي عاوزين تقولوهم.. مش نروح بقى عشان ماما وبابا مايقلقوش عليكم"..

نظرت له في تحد -مش عارف ازاي ممكن تكون النظرة معبرة عن التحدي بس ده اللي حصل- ثم وأنا أشير لزملائي

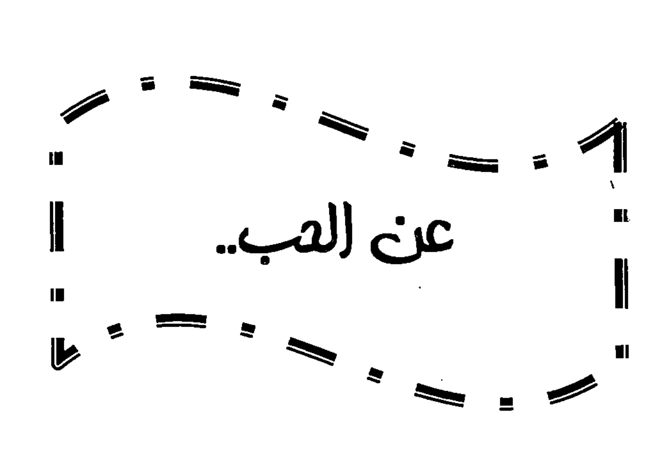
خلفي مشجعا إياهم على ترديد ما سأقوله: "عاوزين نخرج بره السور، عاوزين نخرج بره السور" طبعا كانت النتيجة المتوقعة.. خراطيم المياه.. دششششش.. القنابل المسيلة للدموع.. كح كح كح.."أنا مش شايف حاجة".. ثم "هاتولي الواد ده".. يد غليظة تمسك بقفايا -هل كانت يد "حمقُة"؟!-.. و..."مين طفى النور"؟!

خريف 2004

خارجا من عملي عائدا إلى منزلي وأنا أنظر إلى الأرض.. هذا هو الاتفاق بيني وبين "باسنت"-التي كبرت وصارت خطيبتي- "ممكن نمشي شوية جنب الحيط عشان نعرف نعيش؟" كان هذا هو طلبها، ولأني أحبها أحاول أن أنفذ رغبتها.. بس الحقيقة مش قادر.. طيب اعقلوها معايا ما هو ممكن وأنا ماشي جنب الحيطة، الحيطة دي تقع عليّ يبقى إيه اللي أنا استفدته يعني؟ تؤ تؤ.. وبعدين.. مش لازم أفكر.. لازم أبقى حلو كده وعايش في البلالا "البلالا.. ودي تبقى عيشة أصلا؟!".. حتى في الشغل بتاعي أنا عارف إن المدير مش بيمشّي ورقة إلا برشوة حلوة كده ومكلبظة بس أنا مالي يا عم خلينا

ماشيين جنب الحيطة.. "هششش الشيطان ده مش بيتعب!" أمر بميدان التحرير.. ألمح تجمعا لمجموعة من الناس يحملون يفطًا صفراء مرفوعة وكلمة "كفاية" تسد عين الشمس.. "وبعدين؟!".. يأخذني الحماس.. ثم أتذكر "باسنت".. "معلش باسنت.. مش قادر والله".. وفي خطوات سريعة أتجه نحو المظاهرة الصغيرة التي يحيط بها جنود الأمن المركزي.. وأنا أهتف من كل قلبي.. "كفاية.. كفاية.. كفاية"...




عن الحب..



ثماني طرق – مفتكسة – للتعبير عن المشاعر!

كل شيء يتغير..

فلماذا لا تتغير طرق التعبير عن المشاعر؟!

لماذا لا تتحول كلمة "بحبك" التي كان العشاق في ثلاثينيات القرن الماضي ينطقونها بالقطارة وبحروف متباعدة في الهواء "بــ..حـ...بــ...كــ" حتى لا يراهم أحد، إلى "بحبك موووووووووووت يا عكروت" كما يحدث الآن وينطقها العشاق في المترو والميكروباص وفي الشارع قدام البشرية كلها عيني عينك!

في السطور القادمة ثماني طرق –مفتكسة– للتعبير عن المشاعر، لكننا سنرى هذه الطرق بأكثر من لون.. أبيض وأسود.. وبالألوان.. طبعة 1930 وطبعة 2007!

* * *

أبيض وأسود "1930 وأنت نازل!"

• اذهب إلى شارع "محمد علي" واستأجر فرقة "حسب الله السابع عشر"، واهتم بأن تمر على منزل "زكي حسب الله" عازف الكمان السُكرة قبلها بيوم -لأنه كثيرا ما ينسى المواعيد بحكم السن- ثم استأجر سيارة نصف نقل تتسع لكل الفرقة -حتى تستطيع أن تفلسع في أي وقت يظهر فيه والد الحبيبة ويهددكم باستدعاء الشرطة-.. قف ووراءك الفرقة أسفل بلكونة حبيبتك، ودع الفرقة تعزف اللحن الشهير "بحبك يا ستاموني مهما الناس لاموني" -عارفين إن الأغنية دي جديدة عليهم، بس هم هيعرفوا يعزفوها!- ثم دعهم يقوموا بدور الكورال فقط، "وابدأ إنت في الغناء من جوه جوه قلبك" بكل معاني الحب والوله والعشق والغرام.. لحظات وستجد نتيجة تعبيرك عن مشاعرك.. فوزية.. فجار حبيبتك ضابط الشرطة السابق سيتصرف ميري مائة بالمائة!

• انتظر بنت الجيران على أول الشارع في ميعاد خروجها من المدرسة، ستجدها قادمة تتهادى بدلع لافت للنظر، عندما تمر أمامك خد نفس طويل وتنهد تنهيدة طويييييييييلة ثم اتبعها بـ"آه من الحب"، لحظات وسترى نتيجة تعبيرك عن مشاعرك.. لكننا نخلي مسئوليتنا تماما إذا كنت من هؤلاء الذين

يفطرون بالفول والطعمية والبصل الأخضر، وفي ذات الوقت من مقاطعي البضاعة الأمريكية فلم تستخدم -قبل التنهيدة والزفرة الحارة- "كلورتس" بطعم النعناع!

• في الثالثة فجرا، أمسك بسماعة التليفون واتصل برقم تليفون حبيبتك.. "ترررن ترررن.. ترررن" لا تيأس إن لم يرد عليك أحد في المرة الأولى، عاود الاتصال مرة أخرى.. سترد عليك الحبيبة بصوت ناعس "ألو.. مين معايا"، تنحنح في حنية، وبسهوكة ونعومة قل لها بصوت هامس لا تسمعه أنت "معقول.. مش عارفة أنا مين.. حتى لو قلت لك -تنهيدة- بحبك".. لحظات وسترى نتيجة تعبيرك عن مشاعرك.. لكننا لا نضمن لك النتيجة إذا كان في منزل حبيبتك جهازان تليفون، وأن الشخص الذي يستمع إليك -على السماعة الأخرى- وأنت تبوح بمشاعرك بعد منتصف الليل ليس سوى والدها.. ذي الجذور الصعيدية!

• اعرفي متى يعود حبيبك من عمله، وتعللي بأي سبب منطقي -كأن تقولي لوالدتك "نازلة أقابل الواد اللي بحبه!"- حتى تنزلي من بيتك في نفس الوقت الذي يكون هو فيه صاعد إلى شقته المجاورة لشقتكم، ولاحظي أن الأمر يحتاج إلى دقة شديدة في التوقيت، افتحي باب شقتكم واهبطي درجات السلم في سرعة..

ثم.. هوووب.. دون قصد طبعا اصطدمي به في خفة واعتذري له في كلمات سريعة متلعثمة، ثم أمسكي بالورقة المعطرة المطوية في يدك والتي كتبتِ عليها "بحبك" وضعيها في يده وأسرعي بهبوط درجات السلم المتبقية، وأنت ترسمين على وجهك كل علامات الخجل.. لحظات وسترين نتيجة التعبير عن مشاعرك.. لكننا نخلي مسئوليتنا تماما إذا ما كان حبيبك هذا "عبيطا" أو يكون هكذا عندما يعود مرهقا من العمل، الأمر الذي يجعله ينادي عليك بصوت عالٍ ثم يلحق بك على آخر درجات السلم وهو يعطيك الورقة المطوية كما هي، ويقول لك وهو ينهج من التعب: "معلش.. الظاهر الورقة دي وقعت منك غصب عنك.. اتفضلي!".

* * *

بالألوان الطبيعية "2007 وإنت طالع!"

- بعد أن عرفت رقم موبايل حبيبتك من صاحبتها التي هي حبيبة صاحبك! أمسك بتليفونك المحمول وابدأ في كتابة رسالة قصيرة تبث -حلوة تبث دي- فيها حبك، مثل هذه الرسائل الغرامية الرقيقة الناعمة "ليه في بعدك بحس إنك جنبي، وهو إنت إنس ولا -الشر بره وبعيد- جني!"، أو "بحبك بالذوق وبالعافية، هتحبيني ولا ناوية تدخلي لي قافية!"، أو "قلت لك بحبك مليون مرة وماردتيش، إنت خرسة

ولا شكلك كده مابتفهميش!". صدقنا النتيجة مضمونة ألف في المائة، لن تجد حبيبتك ترسل لك رسالة هي الأخرى بل ستجد موبايلك يرن ورقمها يظهر على الشاشة، فرد عليها فورا وأنت تقول "أيوه يا حبيبتي"..إلا أننا غير مسئولين عن النتيجة إذا كانت حبيبتك تترك -في بعض الأحيان- تليفونها المحمول مع أخيها الأكبر الذي كان يمارس تمارين "الكيك بوكس" عندما وصلته رسائلك الغرامية!

- انتظر يوم الثلاثاء بفارغ الصبر -لأنك نمت يوم الأحد وفات عليك البرنامج- ستأتي الثانية عشرة بعد منتصف الليل، اضبط موجة الـ"F.M" على 100.6 سيبدأ صوت "أسامة منير" في الظهور، وهو يتكلم عن شيء ما له علاقة ما بشيء ما اسمه الحب، اتصل برقم البرنامج ولا تيأس إذا وجدت الرقم مشغولا أكثر من مرة -لست العاشق الوحيد في هذا الكون الذي يسهر إلى مابعد منتصف الليل!- حتما ستنجح في الاتصال بالبرنامج سيسألك "أسامة منير" بصوته المتهدج على الدوام دون أن تعرف لهذا سببا: "بتحب يا هاني"؟!! سترد عليه : "طبعا بحب.. بحبها مووووت كمان.. هي أول حب وآخر حب في حياتي ونفسي تكون بتسمعني دلوقتي.. وأنا عارف إنها بتسمعني دلوقتي.. بحبك.. سامعاني يا ياسمين؟!". نضمن لك

النتيجة الفورية، لكننا نخلي مسئوليتنا إذا ظللت ساهرا إلى آخر البرنامج، وسمعت صوت فتاة أنت تعرفه جيدا، وهي تقول جملة سمعتها منها كثيرا لكن مع اختلاف الأسماء: "أنا عاوزة أقول لـ"أحمد" إني بحبه جدا.. ونفسي يكون سامعني دلوقتي.. بحبك يا "أحمد".. حبيبتك ياسمين!".

- ادخل على كل المواقع الرومانسية الموجودة على الإنترنت والناطقة بكل لغات العالم الحية والميتة!، استخرج كل معاني الحب الموجودة في هذه المواقع، ابدأ في كتابة أقوى "إيميل" حب عرفه التاريخ المعاصر، تأكد من أنك اخترت اللون الأحمر في الكتابة وأنك "دندشت" الإيميل بعدد كبير من الـ"سمايلز" والقلوب التي تخترقها سهام كيوبيد، تأكد من أن عنوان إيميل حبيبتك المكتوب أعلى الرسالة صحيح مائة بالمائة، راجع الحروف الإنجليزية أكثر من مرة.. تمام.. فلنضغط على "SEND".. لن تجد فتاة واحدة في كل الكرة الأرضية يمكنها أن تقاوم هذا الإيميل.. حتما في المساء ستجد إيميلا من حبيبتك فياضا بالمشاعر والأحاسيس الرقيقة.. لكننا غير مسئولين إذا مر يوم واثنان ولم يصلك أي إيميل من حبيبتك، ثم فوجئت في اليوم الثالث بإيميل مختصر منها تقول لك فيه بأنها تعتذر لك لأنها لم تستطع

مراسلتك في الفترة الماضية لظروف خاصة، ثم تجدها تطلب منك في نهاية الإيميل أن تراسلها على هذا الإيميل الجديد، لأن إيميلها القديم -الذي أرسلت عليه إيميلك اللي هو "أقوى إيميل حب عرفه التاريخ!"-اقتحمه "هاكر" محترف وغير "الباسوورد" الخاص، ولم تعد تستطيع أن تفتحه منذ أكثر من أسبوع!

- ادخري من مصروفك كل شهر عدة جنيهات وبعد "كام سنة" ستمتلكين مائة جنيه "كلها جنيهات فكة طبعا!"، ثم احتضني صورة حبيبك في شوق، واذهبي بها إلى ذلك المحل فائق الشياكة الذي يحفر -بالليزر- صور المحبين على قطعة كريستال فخمة، بعد يوم أو اثنين ستستلمين قطعة الكريستال وقد ازدانت بصورة حبيبك وهو يضحك دون سبب وجيه لذلك، يوم عيد ميلاده ضعي الكريستالة في علبة هدايا رقيقة ثم دعيه يفتحها وراقبي ملامحه ورد فعله.. النتيجة مضمونة إلا أننا غير مسئولين إذا كان حبيبك من هذا النوع من البشر الذين لا يعرفون الإمساك بالأشياء بحرص، فتفلت منه الكريستالة وتتفتت إلى ألف قطعة، ثم تجدينه يضحك نفس الضحكة البلهاء التي كانت محفورة على الكريستالة وهو يقول لك: "مش مهم.. خدت الشر وراحت.. المهم جبتِ لنا إيه ناكله معاكِ!"

ثلاث طرق مصرية للتواصل مع رجالة مالهمش دية!

ثمة كتب أجنبية كثيرة تتحدث عن طرق جهنمية وضعها علم النفس يمكن أن تجعل المرأة تتواصل مع الرجل بشكل مختلف وجذاب ويجعلها تنال منه ما تريد -بالحلال طبعا!- حسنا دعكم من هذه النصائح وتعالوا نعرف ازاي ممكن أي بنت أمورة وحلوة -زي سيادتك كده- تقدر تتواصل مع الشاب الحليوة اللي بتحبه أو اللي متجوزاه -عشان الرقابة ماتزعلش!-.. ازاي ممكن تبقي زي عصابة القناع الأسود معاكِ كل المفاتيح اللي تخليكِ تفتحي قلب وعقل الرجل.. وخزنة عم دهب كمان!

• عبيط في مشاعره.. فين إيد الهون!

أكبر مشكلة يمكن أن تواجهك مع من تحبين أنه -ولا مؤاخذة - عبيط في مشاعره.. ازاي يعني؟ واضحة دي.. عبيط

يعني أهبل.. يعني مابيعرفش يعبر عن مشاعره بشكل جيد وفي الوقت المناسب.. يعني تلاقيه في وسط جو الشموع والموسيقى الهادئة اللي شغالة في المركب اللي راكبينه سوا في قلب النيل.. بص في عينك وبيقول لك:

سوسن..أنا ..أنا..أنا.. أنا.. أنا.. أنا.. أنا.. أنا.. أنا.. أنا.. أنا.. أنا!

طبعا ستصابين بالفزع وستتخيلين أن الشريط علق أو سف.. ومش هتصدقي إنه زي ما قلنا عبيط في مشاعره ومش قادر يقول لك "بحبك".. صحيح إن ده معناه إنه شخص عملي جدا وناجح في شغله بدرجة كبيرة.. بس مش هتقضيها شرايط كاسيت مضروبة طبعا!

طيب والحل إيه؟ ببساطة شديدة.. اطلبي من المطعم "إيد هون".. مالقيتيش عندهم وبصوا ليك بقرف على أساس إنهم تقدموا وبيستخدموا دلوقت خلاط ناشيونال في طحن الثوم وما إلى ذلك.. يبقى العيب فيك طبعا.. لازم تكوني شايلة في شنطتك "إيد هون" ملظلظة كده ومكلبظة من اللي كانت جدتك بتستخدمها أول ما اتجوزت.. أيوه ماتفارقش شنطتك زي زجاجة البارفان

وإصبع الروج والبطاقة الشخصية -لزوم الكبسات الليلية الأمنية!- وبسرعة شديدة طلعي "إيد الهون" من شنطتك وهوووووووب تنزلي بيها بكل قوتك على راسه! هيحصل حاجة من اتنين..

إما هتلاقيه برق عينيه وبص لك في اندهاش والدم غطى رأسه وقبل ما يقع من على الكرسي هيكمل الجملة وهيقولك "بـ...حـ...بـ...كـ...!" ويبقى كده الطريقة نجحت.. وإما هيقع من طوله على طول "طراااخ!" ومش هيحط منطق بعدها.. وفي الحالة دي الطريقة نجحت برضه.. لأنك ارتحتِ منه ومن هبله!

• خخخخخخخخخ.. تششششش!

دعينا نعترف-بس من غير زعل- إنك مملة! أيوه مملة.. ولو لم تكوني هكذا فأعطينا وصفا لما تقومين به من رغي ودودودو ودوشة ولت وعجن مع حبيبك أو زوجك لأكثر من ساعة ونصف لمجرد أن تقولي له بأن "تفيدة زميلتك في الشغل بتغلس عليك!" ما الداعي لأن تذيعي له الوصف التفصيلي لكل همسة وكلمة وحرف قيل في العمل؟

ودعينا نعترف في ذات الوقت بأن هذه طبيعة فيك ويصعب عليك تغييرها، وأنه إذا كان لازما ولابد من تغيير فلابد أن يقوم بذلك الرجل لا المرأة-أمال عامل لي فيها راجل على الفاضي!-.. تبقى المشكلة قائمة ماذا لو لم يتغير الرجل وظل يشعر بالملل فور أن تفتحي فمك بالكلام.. بل وتطور الأمر إلى ما هو أشد خطورة وبات الرجل ينام بعد أن تتكلمي بثلاث دقائق فقط ثم يبدأ في الشخير بعد ست دقائق فقط.. ثم يبدأ في التلمظ وأكل الرز مع الملائكة بعد عشر دقائق أخرى.. ثم -وهو الأمر المفزع- وبعد ربع ساعة فقط يبدأ في المشي وهو نائم! ما الحل في هذه الكارثة المتحركة النائمة عديمة الدم؟!

لن تصلح "إيد الهون" هذه المرة.. ممكن يعمل فيها عبيط ويهش بيده إيد الهون وكأنه يهش ناموسة أو ذبابة!.. الحل هذه المرة يسكن في الثلاجة!.. بسرعة اتجهي إليها وأخرجي زجاجة المياه المثلجة.. ثم عودي إليه في عجالة قبل أن يهم بفتح البلكونة -وهو نائم- ليلقي بنفسه منها!..

ثم..تششششششش! أفرغي كل الزجاجة المثلجة على رأسه وقفاه-مهم جدا القفا ده!- حتى لوكان فيه قوة تحمل

"عنترة بن شداد" هتلاقيه صحي وصحصح وفاق وبيقول لك في سعادة:

هاه يا حبيبتي.. بعدين إيه اللي حصل؟!

لا تكوني متسامحة لدرجة أن تردي عليه في سهولة.. انظري له من فوق لتحت ثم خذي نفسا عميقا وقولي في ألاطة شديدة:

مش عارفة.. حاسّة إنك تهت مني.. هاحكي لك من الأول.. أصل "تفيدة"......!

- هي الورقة راحت فين؟!

ندرك أن كثيرا منكن يا بنات يا عزيزات علينا، يكون بداخلكن الكثير من الكلام والمشاعر والأحاسيس التي تريدن أن تقولنها للرجل دفعة واحدة ولهذا قد تخرج منكن العبارات غير مفهومة وغير مترابطة على شاكلة "انأ هدراهنا تلغتشا ريتك!".. طبعا إنت قصدك تقولي "أنا النهارده اشتغلت كتير!"، بس طلعت معكوسة! والأكيد أنه من المستحيل أن نطلب من الرجل أن يضع في جيبه مرآة صغيرة عشان يطلعها

ويضعها أمامك عندما تتكلمين حتى يرى الكلام مظبوطا!

يبقى الحل إيه؟

كتب الفرنجة تقول لك إن عليك أن تكتبي الكلام والأفكار اللي في دماغك في ورقة وتمسكي بيها وإنت بتكلمي حبيبك وتذنبيه قدامك وإنت بتقرأي الأفكار من الورقة وكأنك في حصة مطالعة كالتالي..

أريد أن أتكلم معك في مصروف البيت.. ماذا عنه؟ قل لي بالله غليك لماذا أصبحت تعطيني ثلاثة جنيهات فقط يوميا بينما كنت تعطيني من قبل خمسة جنيهات!، أريد أن أقول لك إني أحبك.. حسنا .. إني أحبك!، قل لي يا صاح.. متى يمكن أن نخرج لنتفسح ونتجول في أحد المولات الكبيرة! ومتى يمكن أن نستبدل هذا بسهرة على النيل دام فضلك!، لو سمحت ما اليوم المناسب الذي يمكن أن نزور فيه معا والدتي دون أن نضرب بعضنا بالحذاء بعدها!

والطريقة بهذا الشكل ستكون روتينية ومملة جدا.. ولا نستبعد أن يكون رد زوجك عليه بورقة مماثلة مكتوب فيها "اذهبي عليك اللعنة.. فأنت طالق بالثلاثة!".. ثم قولي لنا بالله

عليك كيف سيكون الحال لو كتبتِ هذه الورقة ووضعتِها في جيب فستانك مثلا.. ونسيت وغسلتِها!.. أو مـثلا الولـد "ميـدو" ابنـك الصغير اكتشفها فعملها على شكل طيارة وطيرها!

إليك إذن الحل العبقري.. بالإزميـل "أيـوه إزميـل" وعلـى كل حوائط المنزل.. اكتبي..عفوا احفري كل ما تريـدين أن تقوليـه لزوجك.. المنظر هيبقى تحفة وهو داخل البيـت ويلاقيـه بـالمنظر ده!.. ومنظرك إنت كمان هيكون تحفـة وإنـت في المسـتـشفى اللـي وصلك ليها الجيران بعدما تجاوب زوجك معك وكتب ردوده على أفكارك.. على جسدك.. بنفس الإزميل برضه!

كيف تقضي أجمل عيد حب بدون حبيبة؟!

وحيدا كثمرة طماطم معطوبة يتجنبها الجميع، سأحتفل بعيد الحب! بمفردي كشعرة تنبت في رأس أصلع.. سأقول "هابي فالنتين داي!"معزولا كالكلبة "لايكا" وهي في مركبة الفضاء عندما صعدت كأول كائن حي للفضاء عام 1957، سأتلفت يمينا ويسارا أتأمل وجوه المحبين فلا أعرف أحدا منهم.. قبل أن أهتف "هوهوهو!" آآآ.. أقصد.. "كل حب وأنتم طيبين"! لكن لأ.. مش هاستسلم.. وغصب عن الجميع هاحتفل بعيد الحب.. لوحدي.. لوحدي.. وإيه يعني.. لكل ثمرة طماطم فاسدة، ولكل شعرة وحيدة، ولكل كلبة "لايكا"! لا تحزنوا جميعا.. سأقدم لكم الطريقة المثالية التي يمكن أن تحتفلوا من خلالها بعيد الحب بدون حب.. بدون حبيبة.. بدون أي حاجة خالص! حاجة كده زي إنك تعمل كوباية شاي من غير شاي من غير سكر

من غير مية! بس اصبر عليّ بس واقرأ.. وادعي لي.. و.. ربنا يستر يعني!

- نظرية المقشة!

أنت الآن في منزلك وحيدا "كثمرة طماطم فاسدة وكالكلبة لايكا" خلاص عرفنا!، تفتح التليفزيون فتجدهم يذيعون أغاني عن الحب وسنينه وتلك المذيعة البلهاء تقف في الاستوديو تحكي عن مظاهر الاحتفال بعيد الحب في توجو وزائير وجزر الأنتيل، وهي في منتهى السعادة وفي الخلفية يوجد العديد من القلوب الحمراء والدباديب المدبدبة بفروتها الناعمة المستفزة التي لا تجدها أصلا في بطانية بيتكم!، حسنا.. لا تهتم بكل هذا.. بكل هدوء.. أغلق التليفزيون، وافتح إذاعة الأغاني ستجدهم يذيعون أغنية "تخونوه وعمره ما خانكم ولا اشتكى منكم"، ثم أسرع إلى المطبخ ومن وراء الباب أمسك بالمقشة العتيقة التي كانت تنفض بها والدتك التراب من على السجادة، وفي قلب الصالة.. ضع يدك اليمنى في يد المقشة اليمنى "عارفين إن لها إيد واحدة بس تخيل يا أخي تخيل!"، وضع يدك اليسرى على ظهر المقشة..ثم..1..2..3.. دع الموسيقى تقوم بتأثيرها الساحر..

وسيب نفسك خالص، ستجد نفسك تتمايل مع المقشة "اللي هي حبيبتك المفترضة" بكل نعومة وانسيابية.. صدقني هتشعر بشعور عمر ما أي حد مر بيه "أتحداك لو جبت لي حد بيقضي عيد الحب مع مقشة!"، فقط نصيحة ألا تتهور ويأخذك الحماس وتأسرك الموسيقى لدرجة أن تهم بتقبيل المقشة من خدها.. فهي لم تنظف منذ 23 سنة!

• من بحري وبنحبوه!

الأمر سيكلفك ثمن التذكرة ذهابا وإيابا إلى الإسكندرية، أما لماذا الإسكندرية تحديدا في هذا الوقت، فلأن البحر دائما هو ملتقى العشاق، ولأن بلاج إسكندرية ضم الآلاف من قصص الحب الملتهبة "التي كان يطفئها ماء البحر في الأغلب!"، فمجرد وجودك في إسكندرية فقط كفيل باستحضار كل قصص الحب التي عاشت هناك، ستجدها ترفرف حولك وتهيم حول روحك ولا أجدعها فيلم رعب، ثم إن هذا الوقت من العام في إسكندرية له طبيعة عبقرية.. إنه وقت نوة "برد العجوزة".. وهي نوة في حنان وحنية كف يد "عنترة بن شداد" عندما تنزل على قفا أعدائه!، لن تجد هذ الجو الرومانسي الأسطوري إلا في الإسكندرية.. المطر والبرد والرعد والصواعق.. وأنت وحدك على

الشاطئ تستحضر قصص حبك الفاشلة.. تتذكر رقة "داليا" عندما أعطتك بمبة وتزوجت الواد "حسونة" صاحبك وصديقك الروح بالروح! ، تتذكر براءة "كوثر" وهي تقول لك "أنا بحبك قوي.. بس يلاّ بقى كفاية عليك كده لأنك ولا مؤاخذة شحات".. يااااه.. إيه الرومانسية دي!

وعندما يهيج البحر أكثر وأكثر.. وتلمح أمواجه وهي ترتفع إلى أكثر من 100 متر في الهواء.. سيأتيك النداء.. وستظهر هي فوق أعلى الموجة.. ستجدها فاتنة.. وهي تنده عليك قائلة "*يلااااااا.. تعاااااااااااااااااااال!*".. بملابسك مسلوب الإرادة ستدخل في أعماق البحر وأنت تقول لها في هيام "*أنااااااااااااااا جاااااااااااااااااي!*".. ثم "بحبك.. بلوم بلوم .. إيه طعم المية المالح ده؟!".. إلا أنك ستقاوم.. إنه نداء الحبيبة.. إنه نداء الحب في عيد الحب.. هل يمكن أن تقاومه؟! اهتف بأعلى صوتك.. "بحبك.. بلوم بلوم.. جاي لك.. غر غرغر.. أنا.. بحـــ.. بلوم بلوم.. غرغر غرغر.. خخخخ!".. في اليوم التالي ستجد – عفوا سيجد أقاربك– صورتك في الصفحة الأولى في كل الجرائد والمجلات وأسفلها تلك العبارة المؤثرة.. شهيد الحب في عيد الحب! بذمتك تعرف حد احتفل بعيد الحب كده؟!

• "هابي فاير داي!"

نعرف أن هذه الطريقة تتطلب مجهودا كبيرا منك إلا أن الهدف يستحق، أنت ستفسد عيد الحب على كل المحبين الأوغاد الذين يسيرون على الكورنيش مشبكين الأيادي ويحملون القلوب الحمراء والدباديب الحمراء والزهور الحمراء، وهو ما يجعلك تتصور أنهم مصابون بالحصبة أصلا! ، تحتاج إلى حذاء أديداس أصلي، أو حذاء من باتا كلاهما يقضي نفس الغرض، في يوم عيد الحب المشئوم هذا ستقف على الكورنيش متحفزا منتظرا أول فريستين، هاهما.. أيوه.. الواد المايع ده والبنت المايصة دي.. شوف بتسبل له ازاي وهو بيضحك زي العبيط ازاي.. "هع.. كلهم بيضحكوا على بعضهم، هاوريكم".. اقتربوا منك.. اقتربت اللحظة.. الولد يهم بتقديم الوردة لها عندما همت هي بتقديم القلب الأحمر.. الأمر يحتاج سرعة تنفيذ.. ستصرخ بأعلى صوتك "عليكم اللعنة!".. وتندفع نحوهما في سرعة شديدة لتخطف الوردة والقلب الأحمر من أيديهما ثم تفلسع من أمامهما بأقصى ما تملك من سرعة، لتختفي وسط الزحام دون أن تترك لهما فرصة للتفكير أصلا فيما حدث.. بالطبع ستكرر هذا الأمر عشرين مرة على الأقل "احنا قلنا إن الموضوع محتاج نفس طويل

حبتين!".. وفي منتصف ليل يوم عيد الحب.. ستجمع حصيلة اليوم "23 وردة حمراء و22 قلبا أحمر" نلاحظ الفارق طبعا بين الرقمين.. لأن إحدى الفتيات الشرسات عضت يدك كقطة جائعة وأنت تخطف منها القلب الأحمر!.. لا يهم.. في قلب الشارع الذي تسكن فيه.. ضع الزهور فوق القلوب.. ثم اسكب عليها زجاجة الكيروسين كاملة.. ثم أمسك بعلبة الكبريت وأشعلها كلها.. وألق بها فوق حصيلة القلوب والزهور.. "فوووووووووم!" سيكون منظرا رائعا يطفئ كل اللهيب المستعر بداخلك.. والنيران المشتعلة تنعكس في عيونك.. اضحك بأعلى صوتك "هع هع هع هع هع هع..!".. و.. "هابي فاير داي!"

هي الناس بتتجوز ليه؟!

الأمر لا علاقة لـه بعقـدة أو مـا شـابه.. "ماحـدش قلـبني يعني قبل كده.. يادوب هم 5 مرات بس!" لكني توصلت إلى هذه الحقيقـة في لحظـة صـفا نـادر أن تتكـرر.. "مـافيش فايـدة مـن الجواز".. بس من غير ما حد يتسرع ويتهمني بصفات يعاقب عليها قانون الصحافة والنشر.. تعالوا نفكر مع بعض وبهدوء في الأسباب اللي تخلي واحد زيي يقدم على الجواز..

• الاستقرار..

أول حاجة يقولها المقبلون علـى الجـواز "عـاوز أسـتقر يـا أخـي".. وكأنـه قبـل الجـواز بيكـون -ولا مؤاخـذة- مـش علـى بعضه.. وعامل -ولا مؤاخذة تاني- زي حباية الفول السوداني لما بيحطوها في القلاية... حبة فوق وحبة تحت.. بـس مـين قـال إن الجـواز يعـني اسـتقرار.. ده اللـي بيحـصل بـالعكس.. تعـال نحسبها.. إنت دلوقت سـاكن مـع والـدك ووالـدتك ومزاجـك فـل

الفل.. لا إيجار شقة ولا قسط تليفزيون أو تلاجة.. ولا فاتورة تليفون تخليك تفكر تقطع لسان مراتك من لغاليغه عشان تبطل كلام فيه.. كل وجع الدماغ ده إنت بعيد عنه.. فين بقى الاستقرار لما تكتشف إنك مطالب تدفع في الشهر الواحد أكتر من ألف جنيه إيجار وأقساط .. ده غير إنك والمدام أكيد هتحبوا تكسروا صيامكم الإجباري وتأكلوا أكلة محترمة في يوم واحد على الأقل من أيام الأسبوع.. فكر كده في الاستقرار اللي هيحصل لك لما تيجي في شهر وماتلاقيش معاك تدفع إيجار الشقة كده.. وهوب تلاقي نفسك إنت والمدام مطرودين براها.. ومقضيين الويك إند على الرصيف.. والناس اللي رايحة وجاية بتتفرج عليكم.. ده استقرار ولا استحمار ولا مؤاخذة؟!

• الأولاد..

طبعا دي نعمة غالية جدا من ربنا سبحانه وتعالى.. بس برضه مش ممكن تكون هي لوحدها سبب في الجواز.. ولو يا سيدي الأبوة عندك بالكيلو.. ومش عارف توديها فين.. مافيش أكتر من دور الأيتام المنتشرة في كل حتة دلوقت.. يوم واحد في الأسبوع.. هتروح فيه للأولاد في البيوت دي.. هتحبهم وهيحبوك وهتاخد ثواب كمان..

وعمومـا زيـارة واحـدة لأي مدرسـة ابتـدائي حكوميـة.. وحضورك للفسحة.. ورؤيتك للأطفـال وهـم"بيقطعـوا" في بعـض في الفـسحة علـى أسـاس إن ده النـشاط الوحيـد المـسموح لـيهم بـأن يمارسوه.. زيارة واحدة بس كافية بأن تتراجع عن فكـرة الـزواج.. لأنك عارف نفسك عصبي.. ولو حصل يوم وجالك ابنك من المدرسـة وهـو متخرشـم وسـنانه متكـسرة ومريلتـه متقطعـة.. عـشان "أبـو دومة" ابن الناظر ضربه في الفسحة.. ممكن تاخد حكم عـشر سـنين سجن لو انتقمت لابنك وعلقت الناظر من قفاه في جـرس المدرسـة.. يرضيك تخلف ابن وزمايله يعايروه بإن أبوه "رد سجون"؟!

• الحب..

أهو ده بقى أكتر حاجة تخليك تفلسع من موضـوع الجـواز ده.. مش إنت عامل نفسك مثقف وبتقرأ كتير...عمرك مـا قـرأت عبارة نابليون الخالدة "الحب الذي ينتهـي نهايـة سـعيدة لـيس حبـا حقيقيـا.. لأن قـصص الحـب تتغـذى بـالألم والمعانـاة".. هتعترض على "نابليون" بقى وتقول لي مـش بـيفهم هـو كمـان.. وإنه راجل بتاع حروب إيه اللـي دخلـه في الحـب والـذي منـه.. وهو يعني كان شايل قلبه وحاطط مكانه دبابـة؟ مـا هـو بـني آدم بيحب ويتحب..

وبعدين سيبك يا عم من "نابليون".. وحش.. واستعماري والكلام الكبير ده.. هتعترض بقى على "قيس" و"ليلى".. أهم عرب وحلوين وزي الفل أهه.. بذمتك كان حد هيفتكرهم ويحط أسماءهم بالبنط العريض في سجل المحبين الخالدين على مر التاريخ.. لو كان الحاج أبو "ليلى" طلع جدع ووافق إنه يجوز بنته لـ"قيس" بعد ما فضحها وجاب سيرتها في قصايده!.. لأ طبعا.. يبقى احسبها بالعقل.. إنت عاوز اسمك إنت وحبيبتك يتخلد في كتب العشق والغرام.. ولا عاوز قصة حبك تذوب مع كل قصص الحب اللي انتهت بالجواز.. تحب تكون "قيس" و"ليلي".. ولا "عوضين" و"يسرية" اللي اتجوزوا بعد قصة حب ملتهبة.. وماعادوش فاكرين من الحب إلا "حب العزيز".. ومن الالتهاب.. سوى الحياة اللي "اتهببت" بنارالأسعار!

• الأكل.. وما إلى ذلك..

ودي برضه نقطة غير منطقية على الإطلاق.. تتجوز عشان أكلة حلوة! ده إنت غريب قوي يا أخي.. أمال المطاعم اللي مالية البلد دي إيه؟ ده حتى المشروع الوحيد اللي بيتفتح وعمره ما يفشل هو المطاعم.. لو إنت اتجوزت وأنا اتجوزت وكل واحد أكل

في بيته.. مين بقى هيروح يأكل في المطاعم؟ والناس اللي بتشتغل فيها هيعملوا إيه؟ يعني عشان تتجوز سيادتك وتأكل أكلة حلوة.. تضرب اقتصاد البلد.. ليه الأنانية دي؟!

هتقول لي عشان الهدوم يا عم تتغسل كويس.. وتتكوي كويس.. وده بقى سبب غير مقنع من زاويتين...الأولى إنك في الحالة دي تتجوز لك غسالة أتوماتيك أحسن.. وتتجوز عليها مكواة كمان.. تاني حاجة إنك برضه هتكون سبب في إفلاس عم "محمود" المكوجي اللي على ناصية شارعكم.. لأنك خلاص هتبطل تكوي عنده.. والخمسين قرش اللي كنت بتعطيها له كل يوم ماعدتش هتدفعها.. يرضيك تعمل في عم "محمود" كده..؟

يعني تبني سعادتك على أحزان الآخرين..

يا راجل بلاش كلام فارغ.. قال أتجوز قال!



عن البولوتيكا..



هل أنت عنصري؟!

هل سألت نفسك هذا السؤال ذات مرة؟ هل جاءك شعور بأننا عنصريون وأننا في ذات الوقت متناقضون؟

التناقض كله يظهر في أنك تجد الكثير منا يتهم الولايات المتحدة بأنها أم العنصرية لأنها تتعامل مع الأفارقة ومع العرب بقدر كبير من التعالي والتوجس خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر، في الوقت الذي نتعامل فيه نحن بنفس المنطق العنصري مع أي شخص إفريقي أسود البشرة وكأننا جميعا قادمون من أوروبا، بالرغم من أن نصف المصريين تقريبا أصحاب بشرة سمراء ونسبة كبيرة منا تنحدر أصولهم من الصعيد والنوبة وليس من مدريد أو أثينا على ما نظن! لا تصدقنا؟ إذاً تعالَ نفكر معا.. إذا كنت قاهريا فالأكيد أنك ركبت ذات يوم مترو الأنفاق فهو "كاس وداير على الجميع!"، وإذا كنت من خارج القاهرة فالأغلب أنك استقللت المترو ذات مرة لأنه الوسيلة الأكثر يسرا لأي شخص

غير خبير بخبايا وتلافيف شوارع القاهرة، ستسأل عن ميدان التحرير سيقولون لك "اركب المترو وانزل السادات" هكذا بكل بساطة قمت بحل مشكلة كانت بالنسبة لك "عويصة جدا" خاصة إذا كنت تزور العاصمة لأول مرة.

دعونا الآن نركز في الوجوه التي تستقل معك ذات العربة في مترو الأنفاق.. ستجد ولدا وبنتا يسندان جسديهما على باب العربة ويتبادلان الحديث اللطيف فيما يبدو.. وستجد أما مصرية أصيلة تمسك بكيس الخضروات الذي جلبته وهي عائدة من عملها الشاق وهي تفكر كيف يمكن أن تقنع أولادها بأن الباذنجان الذي تقدمه لهم كل يوم ليس سوى لحمة احترقت في الحلة! ، وستجد أبا تبدو عليه علامات التعب والإرهاق الشديدين وهو يتأمل القضبان الحديدية بتركيز شديد وكأنها تذكره بأحلامه وطموحاته التي تسير متوازية مع حياته ولا تلتقي معها أبدا.. وستجد وسط كل هؤلاء.. فتى أو فتاة سوداء من أبناء دول إفريقية مجاورة.. وهؤلاء -كما يقولون- هم بيت القصيد..

في الأغلب فإنه فور أن يصعد أي شخص ذي بشرة سمراء زنجية إلى عربة المترو.. ستجد الجميع ينظرون له وكأنه مخلوق

أتى للتو من المريخ.. وستجد الهمز واللمز والضحك المكتوم بدأ في التصاعد.. ولعل الشاب الذي كان يتودد إلى حبيبته سيتوقف عن تخديرها بكلام الحب والهيام، وسيقول لها في استظراف وهو يتأمل الشخص الأسود "ياي.. إيه ده هم مش بيستحموا ولا إيه!" وعادة فإن هذه النميمة المكتومة والنظرات التأملية المستغربة من وجود مثل هذه الكائنات في مصر المحروسة ستنقلب إلى ضحك ملعلع إذا ما تكلم الشخص الأسود مع زميل له بلغتهم المجهولة لنا بطبيعة الحال، بل إن الخفة والاستظراف قد تصل إلى أقصاها بالبعض وتجعله يحاول التحرش بهؤلاء فيدخل معهم في الحوار ويقول أي كلام لا معنى له في محاولة لأن يحصل على لقب "أخف دم فيك يا مصر!".

العنصرية التي نتعامل بها مع هؤلاء لا تجدها في المترو فقط.. ستجدها في الأتوبيسات والشوارع وفي التليفزيون والسينما أيضا.

فالتليفزيون يصر دوما على أن أي شخص أسود أو قادم من النوبة لابد وأن يكون عم "عثمان"!، وعم "عثمان" لا يشتغل في المسلسلات دوما إلا في وظائف دنيا.. سفرجي.. جنايني..

سايس.. بواب..

ومع كامل الاحترام لكل هذه المهن إلا أن التليفزيون بمنتهى العنصرية لم يستطع مطلقا أن يقدم أيا من هؤلاء الذين يندرجون من أصول سوداء إفريقية في أية وظيفة مرموقة. السينما هي الأخرى قامت بنفس الدور.. في فيلم "عيال حبيبة" الذي عرض في صيف 2005 توجد شخصية سوداء البشرة ينحدر صاحبها من أصول زنجية بالرغم من أن الفيلم أظهره يعمل في وظيفة محترمة بعض الشيء، إلا أن صناع الفيلم أبوا ألا يسخروا من بشرته في كل المشاهد التي ظهر فيها ولم يكن لهذه الشخصية أي مبرر درامي سوى السخرية من لونها الأسود فحسب.

التعامل مع البشر على أساس اللون هو تعامل عنصري لفظته الإنسانية منذ سنين وإذا كنا نعيب على جنوب إفريقيا أنها ظلت حتى نهايات القرن الماضي نموذجا للعنصرية المطلقة فنتمنى من الجميع أن يخطف رجله إلى هناك "فركة كعب مش كتير يعني" ليرى الآن حال شعب جنوب إفريقيا وكيف يتعامل الجميع دون تمييز لبشرة أو لعرق أو لدين من أجل صالح بلدهم فحسب... يبدو أن مصر لم تغادر القرن العشرين بعد!.

طريقك للنجاح في الانتخابات بالتزوير!

دعنا نسألك سؤالا بريئا جدا.. هل لديك طموح سياسي؟

هل تطمع يوما في أن تدخل مبنى مجلس الشعب المهيب برجلك اليمين، وأن تضع "بادج" مجلس الشعب على يسار زجاج سيارتك الأمامي "أكيد هيبقى عندك عربية.. أمال هتبقى عضو مجلس شعب وراكب عجلة!"

إذا كانت الإجابة بنعم.. اقرأ هذا الموضوع بتركيز شديد لأننا سنقدم لك أفضل وأشهر طرق التزوير التي ستوصلك إلى شارع القصر العيني حيث يسكن مجلس الشعب بقبته الشهيرة!

طرق التزوير هذه ليست من اختراعنا حاشا لله.. وإنما حقوق اختراعها مملوكة لقطاع عريض من أعضاء مجلس الشعب الموقرين الذين استطاعوا من خلالها أن يفوزوا بالحصانة والذي منه.. هي طرق ثبت نجاحها في ظل انتخابات مجلس الشعب السابقة.. وهي طرق صالحة للتطبيق في كل انتخابات مجلس

شعب يغيب عنها الإشراف القضائي الكامل والوعي الشعبي الحاضر.. والأخير هو الأهم.. لأن هناك بعض طرق التزوير التي سنقدمها لكم الآن.. ستظل قائمة حتى ولو كان هناك هيئة مستشارين كاملة على كل صندوق..

ركزوا معانا.. وياريت تندهوا لنا الشباب اللي مالوش طموح سياسي لأنه في الأغلب بعد قراءة الموضوع سيفكر جديا في أن يدخل الانتخابات..!

• الطريقة الأولى: الورقة الدوارة الجهنمية!

هي أشهر الطرق.. وفكرتها بسيطة جدا، واحد من أنصارك سيدخل اللجنة، سيأخذ بطاقة التصويت من القاضي، ثم يدلف خلف الستارة، هنا سيبدأ العرض من جيب بنطلونه الخلفي "لازم يكون عنده جيب ورا مش زي اللمبي يعني!".. يخرج ورقة بيضاء.. يضع هذه الورقة في الصندوق بدلا من ورقة التصويت التي يضعها في جيبه.. ثم يخرج من خلف الستارة وهو يشكر القضاة على حسن تعاونهم.

خارج اللجنة ستكون أنت واقفا ومعك أنصارك ومعك أبناء دائرتك الذين وعدت كل واحد فيهم بخمسين جنيها مقابل أن

يمنح صوته لك "معلهش العملية مكلفة شوية.. بس ده إنت هتدخل مجلس الشعب.. مش اتحاد الطلاب!".. هنا يبدأ الجزء الثاني من الخطة.. تمسك بورقة التصويت التي جلبها الرجل من داخل اللجنة.. وتضع علامة صح أمام اسمك، ثم تعطي الورقة لأحد أبناء دائرتك وتقول له أن يضع هذه الورقة في الصندوق ثم يخرج هو بورقة التصويت التي سيعطيها القاضي له ليقدمها هو لك دليلا على أنه وضع البطاقة المسودة لصالحك في الصندوق.. وتشترط أن تكون الخمسين جنيها في مقابل ورقة التصويت الخالية، وهكذا تبدأ رحلة الورقة الدوارة الجهنمية، فالورقة الجديدة ستعطيها وقد وضعت فيها علامة صح على اسمك للشخص التالي الذي سيضعها في الصندوق ثم يخرج لك بورقة تصويت جديدة ستعطيها لشخص ثالث، وهكذا.. حلوة الطريقة دي!

المميزات: أنه لو فيه ألف قاض مافيش حد هيقدر يمنعك من التزوير.. مافيش حد هيقدر يثبت إن فيه تلاعب في الصوت.. لأن القانون يعطي الحق لأي شخص بأن يدلي بصوته خلف الستارة.. كما أن القاضي ليس له سلطة خارج اللجنة..

العيوب: من الممكن أن يكون الشخص الذي سيدخل

بالبطاقة الدوارة نوير وذكي جدا.. وضميره صاحي جدا لدرجة أنه ينتوي أن يلهف منك الخمسين جنيها وأن يلهفك في ذات الوقت مقلب كبير.. فيعلّم بالقلم في الورقة على عدة أسماء أخرى فيبطل الصوت تماما.. ألف مبروك!

• الطريقة الثانية: إنها التكنولوجيا.. يا رجل!

الأمر هذه المرة يتطلب أن يكون لديك تليفون محمول مزود بكاميرا... الأسعار رخصت جدا هذه الأيام والموبايل أبو كاميرا في بعض الماركات لن يزيد ثمنه عن 800 جنيه.. كله يهون من أجل المجلس..

سيتطلب الأمر أن تجهز عددا كبيرا من إيصالات الأمانة.. ده موبايل برضه.. ستأخذ البطاقة الشخصية من الشخص الذي سيدخل إلى اللجنة وبعد أن يكون قد وقع على إيصال الأمانة الخاص باستلامه الموبايل.. ستسلمه الموبايل.. ويدخل اللجنة.. خلف الستارة.. سيصور البطاقة الانتخابية بعد أن يكون قد وضع علامة صح على اسمك.. سيخرج هو ويسلمك الموبايل.. ستنظر أنت في ذاكرة كاميرا الموبايل.. ستتأكد من أنه فعلها فعلا.. حسنا إنه يستحق الخمسين جنيها إياها!

المميزات: نفس الأمر في الطريقة الأولى.. لا يوجد نص في القانون يمنع أي مواطن من اصطحاب الموبايل ذي الكاميرا معه وهو يدلي بصوته.. لأن قانون الانتخابات معمول قبل اختراع الموبايل بعشرات السنين أصلا!

العيوب: من الممكن أن يكون الشخص الذي أعطيته الكاميرا "غشيما".. فيأخذ الموبايل ويصور الحائط.. أو الصندوق.. ولكنه أبدا لا يصور البطاقة الانتخابية.. أنت هنا ستقع في حيص بيص.. فلا تعرف هل أعطى لك صوته فعلا.. أم أنه عبيط ولم يفعل.. كما أنك ستضطر في الأغلب إلى أن تعطيه وصل الأمانة والبطاقة والخمسين جنيها خوفا من أن يكون بلطجيا من إياهم.. وستجده يصرخ بأعلى صوته في قلب اللجنة أنك اشتريت صوته بشوية فلوس!

• الطريقة الثالثة: كنا رجالة ووقفنا وقفة رجالة!

هي طريقة عنيفة بعض الشيء، عفوا كل الشيء، إلا أنها وهذه الميزة غير مكلفة، إذ أن الأمر لن يتطلب سوى أن تذهب إلى قهوة "بعرة" وتستأجر منها عشرين بلطجيا، لأ قليلين.. خليهم ثلاثين بلطجيا.. الرجالة دول عارفين هيعملوا إيه بالضبط.. دي

شغلتهم اللي بياكلوا منها عيش.. ستجدهم يوزعون أنفسهم على نواصي الشوارع التي تؤدي إلى مقر اللجنة الانتخابية محل الاهتمام.. منظرهم البهي.. والأسلحة البيضاء التي تطل من جيوبهم.. والعبارة التقليدية التي سيقولونها "فيه حاجة يا كابتن.. روح بيتك!" لكل من تسول له نفسه أن يقترب من اللجنة.. لن تجعل أي شخص يقترب من اللجنة ليدلي بصوته سوى من أنصارك فحسب..

الأمر طبعا لن يخلو من بعض الشباب اللي واخد في نفسه مقلب الذي سيحاول أن يشتبك مع رجالتك.. عموما الأمر يستحق التضحية.. إصابة هنا أو هناك ستمر حتما بسلام.. بعد الانتخابات سيكون لك كل السلطة التي ستمكنك من أن تخرج كل رجالك المحبوسين في السجون.

المميزات: أقل في التكلفة.. لو تم إلقاء القبض على أحد البلطجية.. لا يوجد أي دليل يثبت أنهم تبعك.. إلا إذا كنت "عبيط" وكتبت معهم عقد احتراف بلطجة.. وفي الحالة دي أنت تستحق دخول السجن فعلا مش مجلس الشعب!

العيوب: مع وجود كاميرات الفضائيات المنتشرة في كل

مكان.. والتزام الشرطة بفرض الأمن والنظام خارج اللجنة إضـافة إلى احتمال حشد المرشح المنافس لعدد كبير مـن مؤيديـه وأنـصاره بشكل يصعب الصدام معهم.. ستكون هذه الطريقة غير ناجحة.

جوبلز وشيتا وفيرجين ميجا ستورز!

كان من الصعب أن أقاوم كل هذا الإلحاح الإعلاني الرهيب الذي يشعرك بأنك لو لم تذهب إلى هناك فأنت بكل تأكيد جاهل وغير عصري وتنتمي لسكان العصور الوسطى، لدرجة أنك إذا نظرت للمرآة ستجد نفسك أشعث الشعر أغبره، ترتدي خرقة من الجلد تستر عورتك فحسب وتمسك بعصاة خشبية ضخمة ومدببة "حتى تخيف بها الوحوش!" بل إنك حتما ستجد الغوريلا "شيتا" تقف بجوارك مبتسمة!

كان الحدث هو افتتاح سلسلة محلات "فيرجين" Virgin Mega Stores في مصر والتي وصفت بأنها واحدة من أهم المؤسسات التي تقدم الثقافة الموسيقية بكافة أنواعها في العالم بأسره، شاهدت حفل الافتتاح الباهر على إحدى الفضائيات الغنائية، ورأيت حماس الشباب المتدافع على أركان المكان الذي بدا نظيفا جذابا بحق، فقررت –وأنا أداعب "شيتا" التي كانت

تشاهد حفل الافتتاح معي- أن أذهب في أقرب فرصة إلى هناك.. بمفردي طبعا فمن الصعب اصطحاب "شيتا" إلى مثل هذه الأماكن الراقية!

المشكلة الأكبر التي واجهتني هي أن "Virgin" موجود في مول ضخم في مدينة نصر يوصف هو الآخر بأنه الأكبر في الشرق الأوسط، والعبد لله -لأنه فيما يبدو "فقري"- فلدي عقدة تجاه مثل هذه الأماكن التي أشعر أنها أشبه بفتاة قبيحة تضع أطنانا من الماكياج على وجهها، فتجر رجل الزبون بالواجهات الزجاجية والديكورات الجذابة وضحكة من بائعة متمرسة حتى يشتري قميصا بـ500 جنيه وهو راض عن نفسه كل الرضا رغم أن نفس القميص يباع في أي مكان آخر بـ100 جنيه!

دخلت المول وليس معي سوى فلوس المواصلات فحسب، خوفا من أن تفتنني "نداهة المول" فأشتري القميص إياه مسلوب الإرادة بنفس راضية، وعلى مدخل "Virgin" تركت العصاة الخشبية وحرصت أن أداري الخرقة الجلد بالقميص الذي أرتديه.. ودخلت إلى القرن الثالث والعشرين!

للأمانة الشديدة بهرني النظام داخل المكان، ستجد

اللوحات الإرشادية التي تساعدك على الوصول إلى مبتغاك بكل يسر وسهولة، كل ألوان الموسيقى ستجدها مصنفة بشكل دقيق، ذاك للموسيقى المصرية، وآخر للخليجية، وبشكل عام تحتل الموسيقى الشرقية الجانب الصغير في المكان..

أما الموسيقى الغربية فحدث ولا حرج.. كل ما تريده في مكان واحد "روك أند رول"، "الميتال" و"كانتري ميوزك"، "الجاز" و"الراب" وأغاني "البيتلز" الباقية حتى الآن وغيرها الكثير من كل أنواع الموسيقى الغربية التي لا أعرف عنها المزيد، الرفاهية المطلقة وصلت إلى أنك إذا كنت كسولا ولا تريد البحث عما تريد بنفسك يكفيك أن تتوجه إلى أحد أجهزة الكمبيوتر المتوافرة بكثرة في المكان وبلمسة يد خفيفة تكتب اسم الألبوم الموسيقي الذي تبحث عنه فيظهر لك مكانه وعدد النسخ المتوافرة منه، بل -شوف يا أخي المزاج- يمكنك أن تستمع لجزء من مقطوعة موسيقية من هذا الألبوم وأنت تبحث عنه.. رفاهية وشياكة وأناقة.. أنا معاك..

أين الأزمة إذن؟ اصبرعليّ شوية بس..

الاكتشاف أن "Virgin" لا يبيع الألبومات الموسيقية

فحسب، بل إنه يقدم -إضافة إلى ذلك- الكتب الأجنبية وأحدث إكسسوارات الأجهزة التكنولوجية الحديثة، إضافة إلى النسخ الأصلية للألعاب وDVD للأفلام الأجنبية والعربية الحديثة.. هنا بقى بيت ومنزل وفيلا القصيد!

فالأسعار نار يا حبيبي نار.. فإذا أردت مثلا مثلا أن تقتني CD أصليا لمطرب أنت تحبه، إضافة إلى نسخة أصلية من إحدى ألعاب الكمبيوتر، وDVD لفيلم أجنبي ما، والنسخة الأخيرة من مغامرات "هاري بوتر"؛ فإنك سوف تدفع ما يزيد عن 700 جنيه بقليل! لا اعتراض مطلقا.. الأكيد أن هناك من سيدفع هذه القيمة وهو في منتهى السعادة، بل هناك من يستطيع أن يدفع أضعاف هذه القيمة في سبيل الترفيه والثقافة عن رضا واقتناع.. لا حسد ولا حقد والله..

لكن المشكلة تكمن في التعامل مع هذه الأشياء على أنها وحدها هي التي تعني "الثقافة المحترمة" وأن يتم التعامل مع سواها بكونها "ثقافة الناس الغلابة"، ليس هذا فحسب، بل الخوف من أن الذين يتعاطون مثل هذه الثقافة الغنية "نسبة للفلوس المدفوعة فيها" قد يحولونها إلى "منظرة" و"موضة"..

ستتحول الثقافة في هذه الحالة إلى سلعة لا تختلف كثيرا عن ماكياج "bourjois"، أو أطقم "كريستيان ديور"، بدايات هذا الأمر حدثت بالفعل عندما حضر الأديب البرازيلي الشهير "باولو كويلو" إلى مصر في مايو عام 2005، فالرجل فوجئ بحضور يتخطى ألفي شخص في الندوة التي أقامها في ساقية الصاوي، معظم الحضور كانوا من نفس الفئة الذين يقبلون على الشراء من "Virgin"، الأمر في ظني كان على سبيل المنظرة (أنا أشتري ملابسي من إيطاليا، ومكياجي من فرنسا، وأقرأ للبرازيلي "كويلو").

طبعا التعميم لا يجوز هنا.. والأكيد أن هناك من يدخل Virgin وهو مهتم بالثقافة ولا يبحث عن المنظرة، لكن كم نسبة هؤلاء؟!

ربما أبدو عنصريا أو متطرفا في أفكاري، لكن اعذروني في تشككي.. فإذا كان "جوبلز" قال إنه كلما سمع كلمة ثقافة تحسس مسدسه، فإنني كلما سمعت كلمة عن زواج -يفتقر إلى أسس صحيحة- ما بين الثقافة ورأس المال تحسست دماغي!

عفارم عليك أفندم!

بعد أن تعرض أخوها ضابط الشرطة لاعتداءات من بعض الأهالي أثناء انتخابات مجلس الشعب التي جرت في نهايات عام 2005 كانت إحدى زميلاتي مستاءة جدا مما حدث، وقد تكون لديها قناعة بأن الشعب الذي لا يحترم ضباط الشرطة الذين يحافظون على حياته ويسهرون على أمنه هو شعب يستحق أن يتعامل معه بشيء من العنف حتى يعرف الصواب من الخطأ، يومها دار بيني وبينها حوار حامي الوطيس - حلوة الوطيس دي!- كان رأيي فيه هو أي شعب هذا الذي نطالبه باحترام الضباط ونحن نزرع في داخله الخوف -كل الخوف- من كلمة الشرطة وهو لا يزال في المدرسة الابتدائية، وذلك عندما يختار الناظر أكثر الطلاب "جعلصة" و"كلبظة و"توحشا" و"بلطجة" حتى يعينهم هو كـ"شرطة مدرسية" يتحولون بعدها تدريجيا إلى "مراكز قوى" في المدرسة تبطش

بهذا أو ذاك وتصبح في يدهم كل السلطة في أن يغمضوا عيونهم عن أي تلميذ يأتي متأخرا عن ميعاد الطابور فيتم تهريبه تحت عيونهم إلى الفصل مباشرة فيتم إنقاذه من الوقوف في الطابور والاستماع لكلمة الناظر اليومية المملة وكل هذا في مقابل ساندويتش ساخن، أو حاجة ساقعة من الكانتين!

يكبر الأطفال وتكبر بداخلهم الكراهية المنطقية لكلمة الشرطة لأنها دائما ما تكون مرادفا لكل فنون القهر والعنف والبلطجة التي تجسدت أمامهم في سنوات دراستهم الأولى، هو ذات الطفل الذي يمكن أن يكبر ويتخرج في الجامعة ويصبح معه بكالوريوس محترم قد الدنيا، ثم تكون نهايته على الرصيف يبيع الشرابات الصوف أو القمصان المتهربة من بورسعيد أو "سيديهات" الأفلام المضروبة! ليجد زميله في الشرطة المدرسية زمان قد كبر هو الآخر وأصبح أمين شرطة سعيدا بالشرايط المعلقة على كتفيه، وأصبح لا هم له في الحياة سوى أن يجري عليه ليمسك به من قفاه مازجًا هذا بكثير من عبارات الغزل العفيف من نوعية "يابن الكـ... وبروح...." ثم يمسك الطاولة التي يعرض عليها بضاعته فيقلبها في الأرض ثم

يلقيه معها كقطعة من الحديد في صندوق سيارة الشرطة التي يقودها في الأغلب ضابط برتبة كبيرة تلمح في عينيه -في هذه اللحظة- نظرات الفرح والسعادة كأنه يقابل حبيبته الغائبة عنه منذ آلاف السنوات، ولوهلة ستتخيل أنه سيهبط من سيارته ليشد على يدي أمين الشرطة ثم يقول له بالتركي "عفارم عليك أفندم"!

ثم إن هناك ذلك الضابط الذي تجده واضعا قدما على الأخرى جالسا على ناصية الشارع يحتسي كوب الشاي والذي تجد نفسك فجأة أمامه وقد جذبك إليه أمين شرطة استوقفك في كمين معد خصيصا للغتاتة على خلق الله الذين يسيرون في الشارع بعد منتصف الليل، فيسألك الضابط وهو يداعب رباط حذائه: إيه اللي مشاك ياض دلوقت في الشارع، فترد عليه أنت وقد فار دمك:

- عادي يعني.. باتفسح..

فينفعل عليك وعندما يطلب منك بطاقتك الشخصية التي نسيتها في بيتك يبتسم في خبث ويقرر أن يأخذك تحري وتقضي الليلة في الحجز، رغم أن القانون لا يعطي الحق لوزير

الداخليـــة شخــصيا في اعتقــال أي شــخص لا يحمــل بطاقتــه الشخصية لأن ذلك ليس تهمة أصلا .

وما حدث في انتخابات مجلس الشعب هذه جعـل الهـوة الموجودة بين المصريين والشرطة تتـسع أكثـر وأكثـر، فالـشرطة التي قالت إنها ستكون علـى الحياد هـي ذاتهـا الـتي منعـت المواطنين من الخروج مـن منـازلهم للتـصويت، والـشرطة الـتي أعلنـت أنهـا ستحافظ علـى الوضع الأمـني هـي الـتي فجرتـه بالتعامل العنيف مع الناس الذي وصل إلى إلقاء القنابل المـسيلة للدموع وإطلاق الرصاص، وإذا كـان الـبط -المنتمـي إلى الطيـور الداجنة- يهاجم كل من يقتحم عشه أو على الأقل يصرخ قـائلاً "كاك كاك!"، فالأولى بالبني آدمين -حتى ولـو كـانوا مـصريين حلوين- أن يقاوموا أية جهة -وليس بالضرورة أن تكـون هـذه الجهة الشرطة فقط- تحـاول أن تهـين كـرامتهم أو تقلـل مـن آدميتهم، بـل إن الأولى بالدراسـة هـي الأسـباب وراء أن ردود أفعال الناس تكون في بعض الأحيان أقل حدة وأكثر تسامحا...

إن هذا معناه أننا -بالصلاة ع النبي- نتحـول تـدريجيا إلى شعب لا يملك حتى شجاعة وكرامة البط!

حضرة الباشا سعادة اللواء.. الميت!

المشهد لم يكن جديدا لكنه كالعادة كان مستفزا..

جامع فخيم في حي راق من أحياء القاهرة اصطف أمامه عدد كبير من تلك الحواجز المعدنية الشهيرة التي يستخدمها رجال المرور في الحملات والكبسات الأمنية النهارية والليلية، وأمام كل واحد من هذه الحواجز وقف عسكري مرور بزيه الرسمي المميز بلونه الأبيض المزوج بالشارة الفسفورية التي تؤكد لكل من يرى ويشوف بأنه تابع لمصلحة مرور القاهرة - يعني رسمي أهو والراجل تابع لوزارة الداخلية اللي هي تابعة للحكومة اللي هي تابعة للدولة- وفي الوقت الذي تكدست فيه السيارات العادية في الشارع مطلقة كلاكسات مزعجة تكفي لإيقاظ سكان المريخ -لو كان فيه سكان أصلا- الأمر الذي أضفى على الشارع فوضوية

مصرية أصيلة فلم تعد تعرف من الذي يجب أن يمر ومن عليه أن ينتظر، وفي الوقت الذي راحت فيه كل الأذهان تتساءل عن سر رجل المرور الخفي الذي كان يجب أن يكون متواجدا في الشارع لتسييره وتنظيم حركة المرور فيه -آه والله رجل المرور المفروض يعمل ده- كان رجالات المرور -بعضهم ذو رتبة كبيرة- ينظمون حركة السيارات القادمة إلى المسجد والتي هبط منها علية القوم ذوو الأبهة والمكانة التي تطل من ملابسهم وماركات سياراتهم.

ولما زاد عدد السيارات وطفح عن المكان المخصص للركن بدأت السيارات في الاصطفاف كصف ثان وثالث واقتطاع مساحات إضافية من الشارع وبتنظيم وبرعاية رجال المرور والشرطة..

الاكتشاف بقى أن كل هذه الهيصة والهلمة والشخط والنطر بسبب أن هناك سرادقا في الجامع لتلقي العزاء في لواء شرطة! "آه والله".. يعني ولهذا السبب ترك رجال المرور أماكنهم وربما جاءت إمدادات من مناطق أخرى.. وجاءت سيارات الشرطة محملة بكل ما لذ وطاب من دبابير ونسور وتركوا أعمالهم -اللي هي المفروض أن تكون خدمة الشعب- من أجل أن

يقدموا العزاء في زميل -رحمة الله عليه طبعا- الأكيد أنه لا اعتراض مطلقا على هذه العلاقة الإنسانية الجميلة التي لها خصوصية مصرية لا تظهر إلا في وقت الحزن في الأغلب، وبالطبع ليس بيني وبين لواء الشرطة الراحل أية عداوة فلم يقفشني في "غرزة" وأنا أشرب "شيشة" من إياها ولم يسحب مني رخصة العربية -لأني ما عنديش عربية أساسا!- وذات الأمر ينطبق على كل "الضبابيط" الأفاضل الذين جاءوا بربطة المعلم لتقديم واجب العزاء في الراحل.

لكن يبقى السؤال هنا هو فين بقى حقك كمواطن وبني آدم في أن تمر بسيارتك أو في ميكروباصك أو في أتوبيسك من هذا الشارع دون أن تنتظر عشرات الآلاف من الساعات ملطوعا ومحروقا دمك بسبب الفوضى والزحام الرهيب الذي سببه تقديم وتقبل العزاء في لواء شرطة؟

ألم يكن من الأولى بكل رجال المرور الذين احتشدوا في صفوف لتنظيم حركة مرور سيارات حضرة الباشا سعادة اللواء وحضرة الباشا سعادة العميد أن يهتموا أولا بتنظيم حركة مرور عربيات وأتوبيسات الناس الغلابة؟

ألم يكن المفروض من كل الرتب الكبيرة التي جاءت لتقديم العزاء أن تقول وتأمر رجال وضباط المرور الذين تحولوا من مسيّرين لحركة مرور الشعب إلى مسيّرين لحركة مرور الشرطة أن يزجروهم ويطلبوا منهم العودة إلى أماكنهم والقيام بأعمالهم التي يقبضون عليها مرتباتهم من الدولة، وأن يساعدوا ذلك المواطن الغلبان الذي يعمل طوال النهار ويأمل أن يعود إلى منزله في أسرع وقت آملا في أكلة بيتية دافئة ونظرة من عيون أطفاله تزيح هم وتعب اليوم كله؟ أليست الأولوية أن يساعد رجال المرور هذه السيدة المسنة المحشورة في ذلك الميكروباص المحشور بدوره وسط عشرات السيارات في الشارع من أجل أن تصل إلى بيتها لترتاح؟

هي الشرطة في بلادنا في خدمة الشعب ولاّ في خدمة حضرة الباشا سعادة اللواء.. حتى بعد أن يموت؟

انصروا الإسلام.. بالكي بورد!

الأكيد أنك استقبلت على بريدك الإلكتروني في يوم من الأيام رسالة بها آية قرآنية كريمة أو حديث نبوي شريف يدعوك مرسلها أن تقرأها ثم ترسلها لعشرة غيرك حتى يوفقك الله وتحقق أحلامك، الفكرة على كل الأحوال ليست جديدة، وقبل انتشار الكمبيوتر والإنترنت كنت تجد سيدة أو رجلا يوزعان على الركاب في المترو أو في الميكروباص ورقة تحكي عن رؤيتهما لأحد أولياء الله الصالحين في الحلم، طالبين منك أن توزع عشر نسخ من هذه الورقة حتى يرضى الولي عنك وتتحقق كل أمنياتك، ومع تطور كل شيء في الحياة تطور هذا الأمر وصارت الإيميلات هي الطريق المناسب لترويج مثل هذه الرسائل.

حسنا.. لا يمكن لأحد أن يعترض على أن يرسل

الأصدقاء لبعضهم البعض رسائل بها آيات قرآنية وأحاديث نبوية تقدم القيمة والعظة والطريق السليم، لكن أن تجبر أحدا على إرسالها لآخرين ثم تلوح له بأنه لو فعل هذا ستتحقق كل أحلامه، أما إذا لم يفعل فسيقع عليه خراب وضرر وشر مستطير، فهذا هو الأمر غير المنطقي، لأنك هنا تتعامل مع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية كأية وسيلة أخرى لتحقيق أهدافك وليس كقيمة دينية عليا لا ينبغي مطلقا أن توضع في هذه المكانة.

ذات الأمر يمكن تطبيقه على رسالة مشابهة وصلتني على بريدي الإلكتروني جاء فيها ما يلي: "أعد التلفزيون الفرنسي استقصاء عن أهم الديانات في العالم وأكثرها اعتناقا فأرجو منكم بـ(اسم الإسلام) التصويت للرفع من (هيبة الإسلام) بين الديانات الأخرى، وهذا هو الرابط........" ومع يقيني بصدق نية الصديق الذي أرسل إليّ هذه الرسالة وحرصه فعلا على إعلاء شأن الإسلام، لكن دعونا نتساءل..

وهل يعلو شأن الإسلام بالضغط على عدة زراير في الكمبيوتر وأنت جالس منجعصا في بيتكم؟

ماذا سيفيد الإسلام لو اختارته هذه القناة الفرنسية كأهم ديانة في العالم وأكثرها انتشارا؟ وماذا سيضيره لو حدث العكس؟

وهل الإسلام بكل قيمه وشرائعه وحضارته يختصر هكذا في مجرد تصويت غير دقيق على الإنترنت تتدخل فيه عوامل كثيرة تجعله دون الأهمية أصلا؟

لو كان الأمر هكذا لتركنا كل أعمالنا ولغاب التلاميذ عن مدارسهم ولتوقفت الحياة في كل الشوارع من أجل أن نجلس جميعا أمام الكمبيوتر لندخل على هذا الموقع حتى نصوت لصالح الإسلام ونصرته، لكن الأمر بالطبع ليس كذلك مطلقا، لأن هذه الرسائل وما هو على شاكلتها ليست سوى دعوة للكسل والخمول والنوم في العسل، والتباهي -كذبا طبعا- بأن كل واحد منا قد قام بدوره من أجل إعلاء راية الدين. "رفع هيبة الإسلام بين الأديان الأخرى" كما طالب بهذا من أرسل هذه الرسالة، لا يأتي بهذا الأسلوب، وإنما يأتي بطريق آخر شاق وصعب ولكن يستحق أن نسير فيه إذا كنا نهتم فعلا بأن يكون للإسلام هيبته بين الأمم. طريق

سلكته الأمم الأخرى -التي لا يعتنق أغلبيتها الدين الإسلامي- ونجحوا بفضله في أن يعلوا من شأن بلادهم فعلا لا كلاما، وحقيقة وليس مجازا.

طريق يقدس الاجتهاد في الحياة ويحترم قيمة العمل الحقيقي الذي يقوم على بذل العرق والجهد، وليست الحياة التي تقوم على الفهلوة والعمل الذي يقوم بتظبيط مواعيد الحضور والانصراف.

طريق نقف فيه جميعا صفا واحدا ضد الفساد والظلم والديكتاتورية، بنفس الحماس والقوة التي نشجع بها منتخبنا القومي لكرة القدم، وليس بطريقة "أهي عيشة وعشناها"، و"يعني احنا اللي هنصلح الكون".

طريق يبدأ بمعرفة كيف يمكن أن نصنع زراير الكمبيوتر لا أن نضغط عليها بحماس ونحن نصوت لصالح الإسلام وكأننا هكذا قدمنا أقصى ما عندنا.

هذا -على قدر فهمي- هو الطريق الذي يجب أن نسلكه، هذا هو الطريق الذي يدعونا إليه الإسلام، وهذه هي

الرسالة الـتي يجـب أن نتـداولها علـى الإنترنـت والمحمـول وشاشات التليفزيون، هي الرسالة الـتي ننـصر فيهـا الإسـلام بجد، وليس بالكسل وضغطة على الكي بورد!

صلاة في الفضاء ونوم في الأرض!

ربما أصبح لدى كثير من المصريين عقدة يمكن أن نسميها بـ"العقدة الماليزية"، فكلما شعرنا بتأخرنا عن اللحاق بركب التقدم والحضارة ونظرنا إلى أقصى الجنوب الشرقي لقارة آسيا الذي لا يبعد عنا سوى آلاف الكيلو مترات فحسب ووجدنا ماليزيا التي تطل على المحيط الهندي والتي نالت استقلالها بعدنا بخمس سنوات كاملة "عام 1957" وقد أصبحت نمرا آسيويا ضخما له أنياب اقتصادية حقيقية تجعل لكلمتها ألف وزن وحساب، لأصابتنا هذه المقارنة بالحسرة والندامة ولجعلتنا نقول يا ريت اللي جرى ما كان، ولأصبحنا نتساءل في دهشة "هم ليه بقوا كده وليه احنا بقينا كده رغم أننا بدأنا تقريبا مع بعضنا؟"..

دعك –سايق عليك النبي– من الكلام حول حضارة سبعة آلاف سنة وبناة الأهرام الفراعنة العظام، لأننا –يا صديقي

العزيز- أصبحنا في عصر لا يعترف بـ"ماذا كنت" بقدر ما بات يعترف بـ"ماذا أصبحت"، ناهيك أصلا عن أننا حتى لم نستطع أن نحافظ على "كنا" هذه فلا استطعنا أن نسوق آثارنا -التي تزيد على ثلث آثار العالم كله بقليل- بشكل جيد، ولا استطعنا أن نروج للطبيعة الساحرة الساكنة في أركان البلد، بينما استطاعت ماليزيا بقليل من التخطيط وكثير من تحمل المسئولية وحب البلد والقضاء على الفساد في الترويج لنفسها وكأنها جنة الله في الأرض بما تمتلكه من أماكن ومزارات طبيعية ساحرة بحق.

طيب ما مناسبة هذا الكلام اللي يوجع القلب ويقلب علينا المواجع والحكاية مش ناقصة أصلا؟

طبعا فيه مناسبة يعني الواحد يعني غاوي عكننة على خلق الله من الباب للطاق.. لازم العكننة يبقى لها سبب.. وسبب وجيه.. ويرفع ضغط الدم كمان!

أصل الحكاية خبر صغير نشرته صحيفة الشرق الأوسط.. بيقول إيه يا سيدي..

بيقول إن "وكالة الفضاء الماليزية ستعقد مؤتمرا لحسم

الجدل الفقهي الذي يدور في البلاد حول الطريقة التي سيصلي بها رواد الفضاء المسلمون في الفضاء وذلك على خلفية استعدادات ماليزيا لإرسال أول رائد فضاء إلى القمر بحلول عام 2020".

خدت الصدمة؟!

اتعكننت زيي؟

ضغط الدم ارتفع عندك.. هتحلل عشان خايف يكون جالك السكر؟!

خدت بالك من الصدمات المتتالية..

أولا: ماليزيا عندها "وكالة الفضاء الماليزية"! -مش قمر صناعي اسمه نايل سات كل إنجازاته إنه بينقل لنا حفلات "هيفاء وهبي" و"نانسي عجرم" على الهواء مباشرة-!

ثانيا: سترسل أول رائد فضاء ماليزي إلى القمر-القمر هاه مش سرس الليان!- في عام 2020 -تقدر سيادتك تقول لي مصر سنة 2020 هتكون عارفة العجز في التموين هيكون كام كيلو سكر وكام باكو شاي؟!

ثالثا: من دلوقتي يعني قبل الهنا بـ13 سنة بيعملوا حساب كل حاجة.. ومش ناسيين كمان فريضة ربنا.. يعني بيفكروا بمنطق حقيقي في الكيفية التي سيصلي بها رواد الفضاء بسبب أن محطة الفضاء تدور عادة حول الأرض ما يقرب من 16 مرة يوميا وهو ما يعني أن الشمس ستشرق وستغرب على من فيه أكثر من مرة في اليوم الواحد فلن يعرفوا في هذه الحالة ظهر من عصر من مغرب "حاجة تجنن برضه!".. ده هناك عندهم بينما احنا هنا في مصر كل اهتماماتنا الدينية تدور حول تحريم التماثيل والأكل والشرب في نهار رمضان ودخول الحمام أيكون بالقدم اليمنى أم اليسرى يا فضيلة الشيخ؟!

ناس لهم التقدم والعلم والتكنولوجيا وصناعة الحضارة، وناس لهم التخلف والرجعية والاستهلاك والاستيراد.. ناس لهم أن يصلوا ويسبحوا الله في الأرض وفي السماء وفوق القمر.. وناس لا تفعل شيئا سوى أن تنام وأن تأكل أرزا مع الشياطين -لا الملائكة- في الأرض.

وجع الناس.. ووجيعة الخطبة!

وقف خطيب الجمعة أعلى المنبر يزعق بصوت عال -لا مبرر له على الإطلاق- متحدثا عن فضل ذكر الله والعمل الطيب الصالح.. ولأن هذه كانت المرة العاشرة بعد المائة تقريبا التي أسمع فيها نفس العبارات والجمل بذات ترتيبها غصب عني.. سرحت في ألوان السجاد المفروش بها المسجد ثم وجدت نفسي -تلقائيا- أنظر إلى وجوه المصلين المستندين بظهورهم إلى حوائط المسجد وعمدانه، لأجد حالهم لا يفرق كثيرا عن حالي.. فمنهم من هو مشغول بتأمل النجفة الضخمة الموجودة في السقف ومنهم من راح يتابع ضوء الشمس النافذ عبر زجاج الشبابيك الملون في حين اختار فريق ثالث أن يأخذ تعسيلة على الماشي كده، فذهب في سبات عميق حتى إنني لمحت أحد المصلين يلكز جاره في عنف بعد أن ارتفع صوت شخير هذا الأخير وكاد يطغى على صوت الخطيب!

كنت أتصور أن هذا هو حالي وحال هذا المسجد المبتلى بهذا الخطيب "الفلتة" القادر -ببراعة- على أن يشتت تفكير كل جموع المصلين ويجعل كل واحد منهم يسرح في ملكوت خاص به، إلا أن الأمر بدا أنه هم عام لأني عندما انتقلت إلى مسجد آخر لم يختلف الحال كثيرا.. نفس الصوت الذي يعلو فجأة وينخفض فجأة دون أي مبرر ونفس حالة التوهان التي تستولي على معظم المصلين، وهو ما أكده لي كثير من الزملاء الذين تفرقت بهم السبل في أكثر من مسجد آخر -ويالله ول والفزع- في أكثر من مدينة ومحافظة!

نفس العبارات الطنانة العامة التي تتحدث عن الفضيلة والأخلاق دون توضيح كيف يمكن للمرء أن يصبح مؤمنا بحق متوكلا على الله وليس متواكلا كسولا، نفس الخطب التي تتحدث عن عذاب الآخرة وجحيمها دون أن تتحدث قط عن عذاب الدنيا ولهيبها الذي تعيشه الناس وتذوقه كل يوم في الميكروباص والشغل والبيت والمدرسة، نفس الدعاء الذي تختتم به كل خطبة فيؤمن المصلون في آلية "آمين آمين"، وأكثرهم لا يسمع أساسا الدعاء الذي يقوله الخطيب بسبب خشونة صوته ورداءته.

لذا كان منطقيا جدا أن يخرج هذا الفتى "مطوتـه" ويتجـه نحـو خطيـب مـسجد الحـسين لينتـزع منـه الميكروفـون ويهـدده بالـسكين الـذي في يـده الأخـرى لأن "أمـي مرميـة في مستـشفى الدمرداش وماحـدش بيعالجهـا وإنـت هنـا سـايب وجـع النـاس وهمومهم وبتتكلم عن عـذاب القـبر".. لا أحـد أكيـد يرضـى بـأن يشهر أحدهم سلاحا في قلب المسجد ولا أن يهدد الخطيب بالقتـل حتـى ولـو كـان خطيبـا سـخيفا ممـلا يتجاهـل مـشاعر المـصلين وآلامهم.. لكن برضه لا أحد يرضى أن تنفصل الخطبـة والخطيـب عن الناس بهذا الشكل المـؤذي والمـستفز.. لا يمكـن أن نـتهم "رد الفعـل" بالتعـصب والجنـون دون أن نبحـث عـن "الفعـل" نفـسه ونصفه بالصفات التي يستحقها.

عندما شرع الله صلاة الجمعة كان الهـدف منـه أن يجتمـع المسلمون أسبوعيا حتى يتناقـشوا ويتحـاوروا في مـشاكلهم لعلـهم يصلون إلى حل لها، لكن صـلاة الجمعـة الـتي نـصليها في جوامـع مصر المحروسة هي "تقضية واجـب" لـيس أكثـر.. خطيـب غـير مؤهل للصعود على المنبر محظور عليه الكـلام في أي شـيء مهـم، ومصلون مشغولون بآلاف من الأفكار والمشكلات الحقيقية يـصلون وراءه حتى يسقط عليهم الفرض وخلاص.

وإذا كان حادث مسجد الحسين هذا يبدو فرديا إلا أنه - حتما ولابد- قابل للتكرار، لأن وجع الناس في مصر لا ينتهي وتجاهل أولي الأمر من أول الحكومة وحتى خطباء المساجد لهذه الأوجاع لا ينتهي هو الآخر.

ولأن مستشفى الدمرداش ومئات المستشفيات الأخرى تعج بآلاف الحكايات المصرية الموصولة بالفقر والحاجة والبؤس، ولأن دعوة الخطيب للمصلين بأن يتقوا الله لن يكون لها أي صدى ما لم يتقِ أولو الأمر الله فينا فيصبح للمواطن في هذا البلد قيمة وكرامة ويفكوا ذلك الحصار المضروب حول الخطباء "المعلبين" الذين يتخرجون في المعاهد الأزهرية وجميعهم يحفظ خطبة واحدة عليه أن يلقيها على المصلين طوال حياته وحياتهم.

لأنه إذا كانت الحكومة تفعل هذا ظنا منها بأنها تتحكم في أدمغة المصلين لأن الحروف التي تخرج من الخطباء تكون مختومة بخاتمها، فهذا تصور خاطئ جدا لأنه إذا كان البعض "يرضى بالهم" فإن هناك آخرين لا يرضون به ويبحثون عما يجيب كل الأسئلة التي تدور في داخلهم بأكثر من وسيلة.. ومن هؤلاء ستجد من يلف حول نفسه حزاما ناسفا، ومنهم من خرج

بمطواة على خطيب اليوم وربما يخرج بها على من هو أكبر منه في الغد.

إذا كنت تبحث عن الأسباب وراء التحول الاجتماعي الرهيب الذي تمر به مصر الآن، فتجد الأب يذبح ابنته والابن يقتل والدته وشابا صغيرا لا يزيد عمره عن 18 عاما يتزعم عصابة لخطف واغتصاب وقتل أطفال الشوارع.. إلى آخر هذه الأخبار المفزعة التي تمتلئ بها صفحات الحوادث الآن.. قل ما شئت عن تراجع دور المدرسة وتأثير الإعلام السلبي ولقمة العيش الصعبة التي تجعل رب الأسرة بعيدا عن أبنائه طوال اليوم، و..و..و.. وبعد كل هذا قل لي أرجوك عن التغير الذي يحدث فيك عندما تخرج من المسجد بعد أن تنتهي من صلاة الجمعة.. فهنا تكمن نصف الإجابة ونصف الحل..

أسمنت على.. قلبك!

قل لي كيف يمكن أن أقتنع بما تقول؟ حتى ولو كان الأمر مجرد أن تقنعني بأن نذهب اليوم إلى السينما بدلا من أن نخرج في تمشية على النيل؟ هل بأن تصرخ في وجهي قائلا: يا حمار افهم!.. الجو برد النهارده.. يعني ماينفعش نروح ع النيل.. إيه الغباء اللي إنت فيه ده"!

أم بأن تقول لي بابتسامة هادئة: الجو برد قوي يا أبو حميد.. ما تيجي ندخل سينما النهارده.. ده حتى عارضين فيلم حلو قوي"..

الفارق واضح طبعا..

طيب دعك إذن من الفسحة والسينما وتعالَ نتكلم في حاجة أكبر.. حاجة يصل فيها الاختلاف إلى أن تتهمني بالكفر والزندقة والإلحاد، والهجوم على الإسلام واندهاشك حتى من

كون اسمي "محمد" على اسم النبي عليه الصلاة والسلام وكوني في ذات الوقت أقوم بأفعال قد تبدو لك مهاجمة للدين الإسلامي وللرسول!

كل هذا لمجرد أني أظن أو أعتقد في أشياء عكس ما تظن أنت وما تعتقد.. أشياء لا علاقة لها بصلب الدين وقواعده التي لا جدال فيها، وإنما في أفكار وشخصيات من لحم ودم... زيّي وزي حضرتك قابلة للنقاش والأخذ والرد..

يا أخي دي وجهة نظر.. احتمال تكون صح واحتمال برضه تكون غلط.. ناقشني فيها.. اعترض زي ما إنت عاوز... بس بأسلوب لائق ومنظم من غير شتيمة وتكفير مش جايز أطلع أنا غلطان فعلا وإنت اللي صح فأقتنع بما تقول؟

الإمام "الشافعي" رحمة الله عليه له جملة أثيرة يمكن يكون كتير منا قرأها لكنه لم يفهم معناها.. قال منذ أكثر من تسعة قرون كاملة "يعني أكتر من 1200 سنة... واخد بالك "رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب"

يعني الإمام"الشافعي" -بكل علمه ومعرفته وقامته الدينية- لم يحتكر المعرفة والعلم لصالحه.. ولم يحتكر الصواب

والصح لنفسه فقط.. هو يقول على رأيه صح لأنـه اجتهـد فيـه - واخد بالك من الاجتهاد ده مش أي كلام كده وخلاص- ورغم الاجتهاد ده فاحتمال وارد جدا أن يكون به بعض الخطأ.. لأنه -لو خدت بالك- بشر برضه، مش كائن ملائكي.. وهو نفس الأمر الذي جعله يقول على رأي غيره إنه خطأ.. بحكم أنه يدرك الطبيعة البشرية التي ترفض أي آراء أو أفكار مضادة لأفكارنا نحن.. لكنه في نفس الوقت أدرك أنه من المحتمل أن يكون الرأي المضاد صحيحا، لأن صاحبه اجتهد هو الآخر.

هذا عن الإمام "الشافعي" فما بالنا بالرسول الكريم عليه الصلاة والسلام؟

هل من يهاجمون الآخرين ويسبونهم ويكفرونهم ويقررون في يقين غريب أنهم سيذهبون إلى النار، هل من يفعل كل هذه السلوكيات بدعوى الدفاع عن الإسلام والرسول قام بقراءة شيء أصلا في سيرة النبي العطرة؟!

وهل في قراءتهم هذه وجدوا الرسول الكريم يسب أو يشتم أو يتهم بالكفر أشد أعدائه.. -الأعداء.. "خد بالك" مش أبناء وطنه أو دينه- الذين كانوا يهاجمونه ويصفونه بأشد الصفات

انحطاطا؟ هل قرأ -دعك من أنه فهم أو استشعر- هؤلاء تلك الآية القرآنية الكريمة العظيمة "ولو كنت فَظا غليظَ القلبِ لانفضُّوا من حولك" (آل عمران: الآية 159) يعني أساس دعوة الإسلام لغير المسلمين هي الكلمة الطيبة، والقلب المتسع المتقبل لكل الآراء.. هذا بخصوص غير المسلمين حتى يشعروا بقيمة الإسلام وروحه السمحة.. فما بالك بالمسلمين بينهم وبين بعضهم؟!

لماذا أصبحنا غلاظ القلب هكذا؟ وأساس إسلامنا -الذي نظن أننا ندافع عنه خطأ- هو أن نكون طيبي القلب متراحمين معا ومع غيرنا؟

هل كانت رسالة الرسول عليه الصلاة والسلام أن يُكفّر الجميع، وأن يقلب حياة العالم جحيما وتبادلا للسباب والعياذ بالله، أم أن يكون رحمة للعالمين... يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة ليقرب القلوب من بعضها البعض وليقربها من ربها كما يقول الله العزيز الكريم في كتابه: "وما أرسلناك إلاّ رحمةً للعالمين" (الفتح: الآية 29).

ندرك أن هذا السلوك التكفيري القائم على احتقار الآخر

واعتباره غير موجود أصلا -فما بالك إذن برأيه- قد أصبح سلوكا متأصلا فينا جميعا، نتربى ونكبر عليه في مدارسنا وبيوتنا حيث لا أحد يسمع لأحد، ولا أحد يتقبل وجهه نظر مضادة.. هو سلوك نفعله في مباريات كرة القدم "الأهلى حديد والزمالك شوربة! وبالعكس!"، نفعله حتى في الأغاني والأفلام "إنت ذوقك زبالة حد يسمع مغني زي اللي بتحبه ده!"، حتى في تذوق الأطعمة "ياي.. مش عارف بتاكل أكل الحيوانات ده ازاي"!

تدريجيا ومن هذه الأشياء البسيطة تكوّنت وتكوّمت فوق قلوبنا حواجز أسمنتية لم نعد نحن أنفسنا قادرين على اختراقها.. حواجز لم تعد تسمح بدخول أفكار أو آراء جديدة، حواجز تجمّدت على القلب فجعلته أسمنتيا صلبا صلدا.. فظّاً.. لا متسامحا.. لينا.. سهلا..

فهلاّ حاولنا أن نكسر معا هذه الحواجز لعلنا نصبح أكثر تسامحا مع أنفسنا أولا قبل أن نصبح كذلك مع الآخرين.. حد ناوي؟!

عمرك تخيلت البحر من غير مية؟!

هناك أسئلة ينبع استفزازها من كونها بديهية ولا تحتمل السؤال أصلا، كأن مثلا يسألك أحدهم: "هو إنت اسمك أحمد يا أحمد؟"، أو أن يقول لك: "هي الشمس لما بتطلع الدنيا بتبقى منورة؟"، وهناك نوع آخر من الأسئلة يستتبع الصيغة الاستنكارية حتى يدفعك للتفكير فيما وراء السؤال مثل: "عمرك تخيلت البحر من غير مية؟"!

طبعا إنت هتسخن.. وستتهم صاحب هذا السؤال بالبلاهة منقطعة النظير وتقول له: "إنت بتقول إيه يا عم؟ لأ طبعا.. بحر يعني مية"

وربما هذا ما دفع وزارة السياحة لأن تبدأ حملة إعلانية تقوم على نفس هذه الأسئلة الاستفزازية الاستنكارية البذيهية قوامها السؤال التالي: "عمرك تخيلت الجنيه من غير السياحة؟!" في إشارة إلى ضرورة الاهتمام بالسياح القادمين إلى

البلاد ومعاملتهم بشكل طيب إضافة إلى الدعوة للمحافظة على الآثار عشان عيب كده، وعشان ماتجيش في يوم تشتري طبق الفول بجنيه فتلاقي عمك "شكشوك" بيبص ليك من فوق لتحت وبعدين يرمي الجنيه في وشك ويقول لك: "روح اجري العب بعيد ياض!" ومش بعيد كمان يبلغ عنك البوليس بتهمة تزوير نقود لأن الجنيه الذي أعطيته له لا توجد به صورة المعبد إياه المطبوعة على أي جنيه مصري.. مش قلنا لك حافظ على السياحة عشان يفضل الجنيه جنيه.. مش كخ كده؟!

لا أمتلك بالقطع قدرة "فرويد" على التحليل النفسي لكن الأمر لا يحتاج حتى إلى أن تكون تومرجيا في الوحدة الصحية لتدرك بالفكاكة كده -اللي هي الفطرة يعني- أن الحملة الإعلانية السياحية دي مضروبة ولن تأتي بأية نتيجة بل ربما تأتي بنتائج عكسية كمان فلا تجد صورة المعبد تختفي من على الجنيه فحسب بل ربما تجد المعبد يختفي من مكانه أصلا! ليه.. سؤال وجيه الصراحة وإجابته رغم ذلك بسيطة جدا؛ لأنه عندما يعلن البنك المركزي أن دخل مصر من السياحة عام 2005 وصل إلى حوالي 7 مليار دولار، وعندما تقول منظمة السياحة العالمية بأن مصر تستحوذ على 25٪ من السياحة في الشرق الأوسط وعندما لا يكون

لهذه الأرقام والإحصائيات أية تأثيرات مباشرة على مستوى دخل الفرد المصري أو على مستوى معيشته وتيجي سيادتك وتكلمه عن السياحة اللي عيب ومايصحش تختفي من الجنيه وتنتظر من الناس إنهم يموّتوا نفسهم عشان الجنيه والسياح يعيشوا وهم يموتوا في داهية مش مهم.. يبقى إنت في عالم والبشرية كلها في عالم آخر!

خوف المواطن على ممتلكات بلده لا يتأتى بالحملات الدعائية البراقة من الخارج والفارغة في مضمونها، حرص الواحد مننا على آثار بلده لا يتأتى بأغنية "يا اللي بتحبوا البلاد دي خلوا عنيكم عليها" -هو ماحدش شايف البلد أصلا من العيشة السودا والضلمة اللي عايشها!- وحتى لو شايف.. طيب يا سيدي والله البلد في عينينا.. أيوه.. نعمل إيه يعني؟

خوف الواحد مننا على كل شبر في بلده وكل مبنى وكل أوتوبيس وكل صفيحة زبالة حتى منتشرة في الشوارع لن يكون إلا إذا شعر الواحد أنه في بلده فعلا، وأن كل ما فيها من أشياء بتاعته بجد، وأن الآثار دي ملكه فعلا، وأن الخير اللي بتجيبه السياحة -وغيرها من مصادر الدخل- بيتوزع بالحق علينا كلنا.

لن أحرص على السياحة حتى أصبح مواطنا حقيقيا أتمتع

بكافة حقوقي.. أركب وسيلة مواصلات تحترم آدميتي.. أخرج في مظاهرة دون أن يصيبني شلوت في مؤخرتي.. أجد لقمة عيش - عيش فقط لا أكثر- دون مهانة ودون ذل لأحد.. لن أخاف على الآثار قبل أن يصبح لي فيها الحق مثل أي سائح.. أدخل الأماكن التي يدخلها.. لا أطرد من الهرم عشان فوج سياحي أمريكي ماينفعش يشوفوا خلقتي اللي مش ولابد.. أو يتم منعي من دخول معبد الكرنك حتى ينتهي الفوج الإيطالي من جولته لأن كثيرا من أفراده حوامل ومش طالبة الواد يطلع شبهي!

هذا ما يقوله المنطق والعقل والفطرة.. الفطرة الحيوانية حتى دعك من الإنسانية، يا جدع عمرك شفت قطة بتدافع عن ولاد قطة تانية؟! عمرك شفت كلب بيهاجم حرامي بيسرق بيت بعيد عنه؟ هم مالهم أصلا؟ إذا كانت القطة سابت ولادها كده في الشارع وإذا كان صاحب البيت مش عاوز يحط عليه حراسة.. يبقى كل واحد على شوقه ومزاجه!

يا رب الرحمة من عندك!

شعب بواقي وفضل!

الأكيد أنك تعرف موسم الأوكازيون، هو ذلك الذي تجد فيه المحلات قد رفعت على واجهاتها لافتات تشير إلى " big sale" -إذا كانت تبيع منتجات مستوردة!- أو تنزيلات تصل إلى 70٪ إذا كانت تبيع منتجات مصرية قيمتها في الأغلب أقل من الـ30٪ المتبقية!

وهو موسم اقترن في السنوات البعيدة التي راحت بالشراء المكثف، ثم أصبح الآن -في ظل الانتعاش الاقتصادي الذي تعيشه مصر ولا يخفى على أحد!- زيه زي أي موسم آخر لا بيع فيه ولا شراء وتكتفي فيه الأغلبية بالبحلقة والتمني ووضع الأيدي في الجيوب الخالية.

اللافت أن هذا الموسم كان يتبعه موسم آخر للتنزيلات يعرف عادة بـ"أسبوع البواقي والفضل"، ويضم المنتجات المتبقية من الأوكازيون والتي لم يحنّ عليها أحد ويشتريها، وغالبا ما

تكون جودة هذه المنتجات ضعيفة ومن درجة متدنية حتى إن هذا يظهر من اسمها "بواقي وفضل"!

حسنا ماذا يكون حال بلد ووطن وشعب ليس سوى.. بواقي وفضل؟!

وكيف الحال إذن إذا كنت أنا وأنت وهؤلاء ننتمي إلى هذا البلد ومحسوبين على هذا الشعب؟!

أصل الحكاية إن حاجة ما دفعتني لشراء "لمبة" تستخدم في شيء ما -مش موضوعنا دلوقت!- لأ.. الحدوتة مش في إن اللمبة -اللي هي عادية ومش اختراع يعني- مستوردة من الخارج وغير مصنعة في مصر.. تؤ.. قديمة دي.. الجديد بقى أن العبوة الخارجية للمبة -المصنعة في ألمانيا- مكتوب عليها بالإنجليزية هذه العبارة "not for use in Europe"!!!..

طبعا علامات التعجب هذه من عندي ولو طلت أن أخترع في اللغة العربية علامات تعبر عن الخجل والخزي لفعلت، فهمت سيادتك المعنى.. هذا المنتج غير مخصص أو غير صالح لأن يستخدمه الأوربيون -رغم أنه أوربي- وإنما مخصص لشعوب البواقي والفضل التي قررت أن تظل في موضع المتلقي السعيد

المبسوط، وإذا كنت تنظر للأمر بعنصرية فهذا شأنك وحقك، ولكن عليك أيضا ألا تغبط الأوربيين حقهم الذي يجعلهم ينظرون إلينا هذه النظرة ويعزلون أنفسهم ومنتجاتهم الراقية عنا بينما يصدرون لنا البواقي والفضل.

استنى.. لم ينتهِ الموضوع بعد.. خد دي كمان..

إحدى شركات السيارات الفرنسية العاملة في مصر قامت مؤخرا بحملة دعاية كبيرة وضخمة للترويج عن بيع أحد موديلاتها الشهيرة بمبلغ معقول جدا قياسا على أسعار باقي أنواع السيارات الأخرى المتساوية معها في الفئة والإمكانيات.. حلو كده.. المدقق في الحملة سيكتشف أنها أيضا "بواقي وفضل".. أولا الموديل ليس بحديث بل يعود إلى أواخر التسعينيات وظهر بعده العديد من الموديلات الأحدث والأرقى.. فيكون السؤال المنطقي "أمال إيه اللي طلع الموديل ده من التلاجة؟!".. عادي جدا.. إنه عرض خاص لشعب البواقي والفضل.. فالموديل أجرت عليه شركة إيرانية بعض التعديلات البسيطة ثم تم تصديره إلى السوق المصرية على أنه لقطة وحاجة عظيمة واللي ما يشتري يتفرج!

قبل ما تزهق وتقفل الكتاب اسمح لي بأن أعطيك

الأخيرة.. والله بجد دي آخر حاجة!..

لو كنت متابعا مدققا لما يحدث في ربوع مصر -التي كانت محروسة ثم أصبحت مهروسة- لاكتشفت أن النظام والحكومة استولت عليهما مؤخرا حالة مستعصية من حالات "بيع يا لطفي" -تلك الجملة الشهيرة التي كان يقولها الفنان "جميل راتب" في مسلسل "سنبل"- وأنه تم بيع 4 من كبرى مملوكات الدولة -اللي هي برضه نظريا مملوكات الشعب- في أقل من شهر وهي على الترتيب: عمر أفندي وشركتا سيد وآمون للأدوية وبنك الإسكندرية، وإذا كان يمكن للمرء أن "يستعبط" في المؤسسات الثلاث الأولى ويقول إنها متعثرة وبيعها يحقق بعض التطوير والنجاح، فإن المؤسسة الرابعة "بنك الإسكندرية" لا يصلح معها ذلك، لأنه لا توجد أي دولة في العالم -بما في ذلك الأول والثالث والأخير- قادرة على أن تبيع أيا من بنوكها الوطنية لأن هذا يضع أحد أهم مواردها المالية في يد أجانب، ولعل هذا ما دفع الحكومة لأن تفاجئ الجميع بصفقة بيع الإسكندرية لأحد البنوك الإيطالية دون دعاية مسبقة أو شوشرة، ثم تكفلت وسائل الإعلام الحكومية بالتطبيل والتزمير والتنظير للحدث بأنه حاجة أوريجينال خالص والحمد لله خلصنا من البنك الهم ده خلّي بتوع

بره يعرفوا يديروه كويس.

هي ذات عقلية "البواقي والفضل" التي لا تعترف بأن هذا شعب زيه زي باقي شعوب العالم يمكن أن يعتمد على نفسه وأن يصلح ما أفسد وأن يرمم ما انكسر، وكأنها سياسة منظمة تزرع فينا الإحساس بأننا "عجزة" و"ناقصو أهلية" وأننا لسنا أكثر من شعب "بواقي وفضل" عليه أن يرضى بلمبة أوربية لا يستخدمها الأوربيون، وسيارة فرنسية لا يستخدمها الفرنسيون، وفوق هذا وذاك عليه أن ينخرس وينكتم ولا يفتح فمه معترضا عندما يرى الأجانب يضعون أموال بلاده في جيوبهم..

مش إنت اللي رضيت من الأول إنك تكون من "البواقي والفضل"؟!

نعتذر للمبتدئين

ونتمنى لأطفالكم نوماً هنيئاً!

كان الإعـلان لطيفـا ومـشجعا جـداً.. "شـركة كـبرى في مجال الدعاية والإعلانـات تطلـب مـوظفين للعمـل مـن حملـة المؤهلات التالية" حتـى جـاءت آخـر جملـة فيـه و.. "نعتـذر للمبتدئين!". ورغم الرقة الظاهرة في هذه الجملة الأخـيرة إلا أنها ذكـرتني بجملـة "ونتمنـى لأطفـالكم نومـاً هنيئـاً" الـتي يكتبهـا الـبعض في كـروت الـدعوة للأفـراح، والـتي تُعقـد في فنادق كبرى لا تتحمل لغوصة الأطفال في الجاتوه أو صراخهم الذي لا ينتهي أو حتى جريهم المستمر بـين أرجـل العـريس والعروس وكأنهم في سباق لاختراق الضاحية من كل ناحية!

وإذا كان من حق العروسين اللذين دفعا الشيء الفلانـي

في الفرح في أن يتخذا كل الاحتياطات التي تحول دون أن يفسد عليهما الأطفال بهجتهما، فليس من حق أصحاب الشركات إفساد فرحة الخريجين الغلابة -الذين لا يجدون حتى ثمن حجر الشيشة على القهوة- بأنهم وجدوا أخيراً فرصة للعمل وذلك بأن يغلقوا أمامهم باب الرزق بالضبة والمفتاح سواء تمّ هذا بشياكة على طريقة كروت الفرح أو بشكل فظّ وفجّ على طريقة "امش ياض اطلع برّه"! ففي الحالتين ضاعت الفرصة في العمل وضاعت الفرصة في أن يرتبط "أمجد" بالبنت "منى" المتعلقة به منذ سنوات. وضاع حلم الحصول على شقة بالتقسيط في مساكن الزلزال. وضاعت فرصة أن يصبح لأحدهم طفل -واحد فقط كما تقول قواعد تنظيم الأسرة- ينادي عليه بلغة متكسرة "با...با".

فإذا كان شرط الالتحاق بأي وظيفة محترمة في مصر هي الخبرة، وإذا كان معظم خريجي الجامعات لم يعرفوا معنى كلمة العمل من قبل، فكيف يمكن أن يلتحق هؤلاء بوظائف تحترم آدميتهم؟ الأمر أشبه بأن نجيب على السؤال الذي حيّر كل علماء الأرض "ما الذي جاء أولا البيضة أم

الفرخة؟!"

تخيل -يا مؤمن- أنك تخرجت في كليتك وكلك أمل في المستقبل المشرق، وترى الحياة وردية وتفتح لك ذراعيها، وعندما تذهب إلى أي مكان أعلن عن توفر وظائف به تجد صاحب العمل ينظر لك بكل تأفف وقرف الدنيا ثم يسألك "أيوه معاك خبرات إيه؟"، طبعا ستتلعثم وستخرج منك الكلمات مبتورة "ما هو أصل.. أنا.. لسه خريج الدفعة اللي فاتت.."، فتجده ينظر إليك كما ينظر الناس إلى من هو مصاب بالجرب وهو يقول: "معلش.. مش بنشغل خريجين عندنا.. احنا مش هنقلبها حضانة"!

ما ستجده عند صاحب العمل ثقيل الدم هذا ستجده تقريبا في أغلب الوظائف الحكومية والقطاع الخاص التي تشترط أن تكون قد اقتربت من الالتحاق بنادي المسنين حتى تتاح لك فرصة أن تعمل لديهم ويا ريت حتى كمان في وظيفة عدلة وعليها القيمة!

لا أحد يمكن أن ينكر دور الخبرة التي يمتلكها أصحاب العمر الطويل، هذا حتى يتضح في مباريات كرة القدم

فالفريق المميز تجد فيه دوما رأس مفكرة صاحبة خبرة طويلة في الملاعب المختلفة، وغالباً ما يكون لهذه الخبرة اليد الطولى في أن يفوز فريق على آخر، وقد تجد في الفريق الواحد أكثر من لاعب خبرة.. اثنين أو ثلاثة على الأكثر، وعندما يزيد العدد هذا ستجد الكل يصف هذا الفريق بأنه فريق "عواجيز" لن يستطيع أن يجاري الفرق الأخرى الشابة فيكون مصيره الهزيمة والفضيحة في أحيان أخرى.. بعيد عنكم!

هذا هو المنطق، لا يمكن لفريق من العواجيز والخبرة فقط أن يفوز، فما بالكم بدولة كاملة قوامها كله خبراتي وعواجيزي!

ماذا يكون حال وطن لا يفتح ذراعيه أبداً لأبنائه إلا إذا قاربوا على الستين "على اعتبار أن الحياة تبدأ بعد الستين كما كانوا يقولون في برنامج ربيع العمر على القناة الأولى"! وما وصف الوطن الذي لا يعترف بك إلا إذا كنت خبرة ولافف الكرة الأرضية.

وقل لي لو سمحت لو أغلقت الأبواب الشرعية أمام قطة حتى بلاش بني آدم في أن تعيش وتأكل كأي قطة

محترمة ماذا عساها أن تفعل؟ هل تهاجم القطط السمان الكبار العواجيز الذين يمكثون فوق أنفاسها ويسدون عليها كل طرق الحياة، أم تحزم أمتعتها وتركب أول طائرة لتهاجر؟

الحلم الأمريكي.. والكابوس المصري!

لفترة طويلة ظللت مندهشاً من حالة الحنق والغضب التي نالها طلاب جامعة المنصورة الـ11 الذين فور أن حطّت أقدامهم على الأراضي الأمريكية، إلا وأن تخلفوا عن فوج الزيارة المتجه لإحدى الجامعات الأمريكية وافرنقعوا واختفوا في محاولة منهم للفرار من "أم الدنيا" إلى "سيدة الدنيا" هذه الأيام.

مبعث الاندهاش يعود إلى أن الأغلبية راحت تصف الطلاب بكلام كبير قوي من نوعية "الإساءة إلى سمعة مصر"، "مرمغة كرامة الوطن في طين أمريكا"، "بهدلة الحضارة المصرية ذات السبعة آلاف سنة". والأمر لم يقف عند هذا بل إن الكل راح يسن السكاكين للطلاب المنصوريين، ومن يهدد بفصلهم من الجامعة ومن يلوح بضرورة معاقبتهم أمنيا هم وأهاليهم، للدرجة التي خشيت فيها أن يصل حماس البعض إلى سحب الجنسية المصرية منهم عقاباً على ما اقترفوه من آثام وجرائم في

وحتى نضع النقاط فوق الحروف لابد وأن أعترف بأن ما فعله الطلاب خطأ بالطبع. لكن التعامل مع القضية أخذ بُعداً مبالغاً فيه، وتحميلهم كل المسئولية بدا وكأنه أمر مقصود حتى نظل نلهث وراء إجابة السؤال: "كيف نعاقب هؤلاء الأوغاد؟!" بينما السؤال الأهم وسط كل هذا الزخم هو: "لماذا فعلوا هذا؟!"

إجابة السؤال الأخير وحدها هي التي ستحمل في طياتها -حتماً- الكثير من الأسباب التي لن تعجب الناس الكبار وأولي الأمر في مصر، الذين يظنون أن الحياة وردي وبمبي وفوشيا وأن ما فعله طلاب -يبلغ عمر أكبرهم 20 عاماً- من فرار محكوم عليه بالفشل ليس سوى طيش شباب أو قلة أدب منهم جعلتهم ينوون ترك الجنة المصرية والذهاب إلى الحلم الأمريكي.

دعنا نتفق أولاً أن الهجرة والاستقرار بأمريكا لم تعد حلماً لكثيرين بعد أحداث 11 سبتمبر أو على الأقل أصبحت حلماً ممزوجاً بكثير من القلق لأن ذلك يعني أنك ستظل تحت نظر عيون أجهزة الأمن الأمريكية طوال 24 ساعة في اليوم.. حسناً، لكن من قال إن عدم وجود هذه الرغبة لديك يعني انعدامها لدى

آخرين؟ آخرين باتوا يرون في رجال الأمن الأمريكان -بستراتهم السوداء الأنيقة التي تخفي أحدث الأسلحة والسماعات المدلاة من آذانهم فتنقل لهم دبيب النملة التي تربيها في بيتك- أمنا وسكنا واحتراما للآدمية لا يجدونها في رجال مباحث أمن الدولة الأعزاء، أو حتى في ضابط الشرطة الذي يستوقف الواحد منهم بعد منتصف الليل في كمين -خدت بالك أصلا من شاعرية الاسم.. كمين!- ليتسلى عليهم ويقضي الليلة معهم في أسئلة وجودية من نوعية "لما إنت من الهرم إيه اللي خلاك تيجي مصر الجديدة الوقت ده؟!"

أيوه سيادتك.. في مصر حاليا ملايين -بلاش ملايين واسعة شوية.. مشيها آلاف- أصبحوا يرون في الهجرة غير الشرعية إلى أمريكا رغم كل ما فيها من مخاطر كافية لأن تجعل "رامبو" نفسه يفكر ألف مرة قبل أن يفعلها، حياة حقيقية أخرى تستحق التضحية والمغامرة. حياة ستكون قاسية في بدايتها، قوامها كرّ وفرّ وهروب ومحاولة للزواج من أمريكية -كده وكده- من أجل الحصول على الجنسية. إلا أنها حياة قد يكون لها ملامح فيما بعد. بدلا من الحياة التي يعيشونها في مصر بلا لون أو طعم أو هوية فلا تعرف هل دخولك الجامعة قرار

صائب أم لا؟ وهل تخرجك منها برضه دي حاجة حلوة ولا إيـه؟ وهل تقبل أن تعمل موظف أمـن بـــ200 جنيهـا في شـهر وترمـي شهادة البكالوريوس التي حصلت عليها في أقرب صندوق زبالة أم تضع الشهادة في جيبك وأنت تـشرب الشيـشة مع أصحابك علـى القهوة تتابعون اللي رايح واللي جاي؟!

أمريكا لا تـزال حلمـاً للمـصريين لأن مـصر -للأسـف- لا تـزال أشـبه بالكـابوس. فيهـا الغـيلان والوحـوش هـم الـذين يتحكمون في مفاتيح غرف الأسرار والكنوز. فيها الفـساد معشـشاً في كل الأركان مختلطا بالماء والهواء. بهـا حريـة عـوراء فـلا هـي ديكتاتورية صريحة ولا هي ديمقراطية كاملة الدسم، بهـا قـانون لا يطبق إلا على الذين لا ظهـر لهـم، فيهـا مـدن جديـدة محاطـة بأسـوار مـن الزهـور واليـاسمين، وفيهـا عـزب قوامهـا الـصفيح محرومة من شربة ماء نظيفة.

أعـرف أن أمريكـا ليـست جنـة الله في أرضـه، وأن بهـا عنصرية واضطهادا واضحا للعـرب والمـسلمين -وبخاصـة بعـد 11 سبتمبر- وأن بها بطالة وفسادا وغـشا وتدليـسا. لكـن وكمـا قـال العرب منذ زمـن "ومـا الـذي يـضير الـشاة بعـد ذبحهـا؟".. هـي

خلاص ذبحت. تتشوي، تتقلي، يعلقوها في النجفة.. خلاص ماتت.. وما الذي سيضير المصري إذا ذهب إلى أمريكا.. هيقبضوا عليه ويعذبوه في جوانتانامو؟ قديمة.. اللي بيحصل في قسم قصر النيل زي اللي بيحصل في جوانتانامو. هيشتغل في مهن وضيعة؟ مافيش مشاكل جربها هنا قبل ما يسافر.. هينام له كذا يوم في الشارع.. ألقِ نظرة على الشارع المصري وعد كام واحد نايم فيه. لكنه على الأقل هناك سيبقى بداخله أمل في الخلاص والنجاح. غيري راح أمريكا ونجح يبقى ليه ما أروحش أنا كمان وأجرب؟

هذه السطور ليست دعوة للهجرة من مصر. وأنا شخصيا – إذا جاز لي أن اتكلم بأنا وبشخصيا هذه– مازلت مقتنعا جدا بكلمة العالم العظيم الراحل د."أحمد مستجير": "المهاجرون من مصر هم جنود هربوا من المعركة". ومازلت أعتقد أن المعركة هنا في مصر وليست في أمريكا. لكن أرجوكم لا تتكلموا عن "سمعة مصر" التي راحت على يد كام طالب وتنخرسوا عن "مصر" نفسها –لا سمعتها– التي نأت بكل ما فيها من مفاسد. قبل أن تحاكموا هؤلاء الطلاب وأهاليهم، حاكموا من جعلوهم يفكرون بالهجرة من مصر. قبل أن تحاسبوهم على حلمهم الأمريكي حاسبوا أولا من جعل مصر.. كابوساً.

وطنك.. 40 مترا!

ما معلوماتك عن السَكَنَ؟

في معجم "المنجد" يعرف السَكَنَ بأنه "الاستقرار والثبات والهدوء والاستئناس". ولهذا كان منطقيا جدا أن تعبر كلمة الإسكان -التي تحتل وزارة طويلة عريضة في مصر- عن هذا المعنى، فهي المهتمة بتوفير الشقق والسكن للمواطنين الحلوين أمثالي وأمثالك. سكن يوفر الاستقرار والثبات والهدوء والاستئناس مثلما يقول المنجد.. ولاّ إنتم هتغلطوا في المنجد كمان؟!

وبالتأكيد فأنت لست في حاجة لأن تكون على صلة وطيدة بوزارة الإسكان حتى تعرف بأنها -والحمد لله- فاشلة باقتدار في توفير السكن أو حتى عشش الإيواء للمواطنين الأعزاء. وذلك على اعتبار أن هذا الأمر يعد رفاهية وأن الشعب "غير الناضج" لابد

وعد به الرئيس والحزب الوطني في البرنامج الانتخابي وخداع أصيل للناس التي صدقت البرنامج وانتخبت الرئيس على أساسه. كما أن وصف مساحة من الأرض تبلغ 40 مترا بأنها شقة فيه كثير من الاستهتار بحقوق الناس وآدميتهم.

وإذا كانت كلمة "شقة" -مالهاش تعريف في المنجد المرة دي!- ولكنها تعني كما هو دارج وجود صالة وحجرة نوم وحمام ومطبخ. أيوه هييجوا فين دول كلهم؟! ثم أنه كما اتفقنا من قبل فإن سكن يعني الاستقرار والثبات والهدوء والاستئناس. من أين سيأتي كل هذا في شقة زي "الحُق" كما تقول جداتنا الأفاضل في وصف أي شقة صغيرة لا تزيد مساحتها عن 70 مترا؟!

وهل يمكن لشقة بهذه المساحة المتناهية في الصغر أن تصلح سكن لأسرة.. يعني زوج وزوجة وأبناء؟ وأي أثر نفسي يمكن أن تتركه على سكانها؟ وإذا كانت سلوكيات المصريين آخذة في الانحدار بسبب ثقافة الازدحام والضوضاء التي تسيطر على حياتهم في الشوارع والطرقات فما هو تأثير هذه الشقق "الأنبوبة" على سلوكيات الناس؟ وإذا كانت الشقة في المعتاد هي بمثابة الوطن الذي يسكن إليه الواحد بعد يوم شاق ومرهق فهل يمكن أن

يكون الوطن 40 مترا فقط؟!

أدرك أن لا أحد منا يعيش في قصر فخيم ولا أحد فينا يملك أمام القصر بتاعه حديقة غنّاء مساحتها ألف متر يمارس فيها رياضة الفروسية قبل غروب الشمس كل يوم! أدرك هذا والله.. وأدرك أيضا أن كثيراً من الناس ليس لديهم شقق أصلا وتسكن في عشش من القش والصفيح، وأن هناك الكثير من الشباب الذي، لظروفه المالية الضعيفة ولارتفاع أسعار الشقق الجنوني، يتزوج في حجرة صغيرة في شقة أسرته. كل ده عارفه.. بس اللي أعرفه برضه أن اللي يقول حاجة ينفذها ولا يلتفّ عليها. واللي أعرفه برضه أنه حقك إنك تعيش في شقة محترمة تراعي آدميتك وإنسانيتك وتحفظ خصوصيتك. وأن وطنك هو مصر كلها فلا توافق على أن يختصروه إلى 40 مترا!

مرة واحد صعيدي.. انتحر!

ما معلوماتك عن الصعيدي؟ نظنّ أنك لو تعرفت عن قرب على الصعايدة الحقيقيين لعرفت أن الواحد منهم شهم ومجدع ورجولة وصلب. صاحب شخصية قوية تتحمل الشدائد والصعاب.. من جواه مشاعر كلها حنان وطيبة، ومن براه شخصية جامدة وعفية يتكسر عليها الصخر. أما لو تعرفت عليه "سماعي" من خلال النكت –التي تكون عادة سخيفة– والتي تبدأ بـ"مرة واحدة صعيدي"، فأنت ستتصور أن الصعيدي هو واحد قليل الحيلة محدود الذكاء غالباً ما يقع في مواقف محرجة بسبب عدم قدرته على التصرف بنباهة مثل تلك التي يملكها أبناء بحري العباقرة. وهي بطبيعة الحال معرفة منقوصة وخاطئة.

وسواء كانت معرفتك بالصعيدي مبنية على هذا الأساس أو ذاك فهل تخيلت في يوم من الأيام أن الصعيدي يمكن أن يقدم على.. الانتحار؟!

هل تصورت أن هذا الجبل يمكن أن ينهـي حياتـه بنفسه لأي سبب من الأسباب؟ هو أنت أصلا عمرك شفت جبل بينتحـر؟ ما كان يبدو مستحيلا قد أصبح أمراً واقعاً والصعيدي الذي ينتحر لم يكـن واحـدا فقـط ولا اثـنين أو ثلاثـة.. بـل عـشرين بالتمـام والكمال وجميعهم انتحروا في ثلاثين يوماً فقط هو شهر يوليو من عام 2006.. حسناً، السؤال الذي يشغل البال الآن.. هو ما الذي حدث؟

هل اختلفت تركيبة الصعيدي الآن عما سبق؟ وهـل باتـت مشاعره وانفعالاته الداخلية قابلة للاشتعال في أسرع وقت ممكن؟ نظرة واحدة على المسببات التي دفعت العشرين صعيديا للانتحار تجعل علامات الاستفهام تزيد أكثر وأكثر، فهي تتنـوع مـا بـين فشل في الارتباط بحبيبة إلى صـعوبة التـأقلم مـع ظـروف المعيـشة الـصعبة، والخلافـات الزوجيـة، ونهايـة بالرسـوب في امتحـان الثانوية العامة، بل إن هناك انتحارا تسلسليا في الصعيد إن صح التعبير فـ"أسماء محمد" الـصعيدية الأسـيوطية والـتي تبلـغ مـن العمـر 19 عامـا فقـط تلقـت خـبر وفـاة والـدها إثـر حـادث ألـيم فتناولت مبيداً حشريا على الفور لتلحق بوالـدها، وعنـدما وصـل خبر انتحارها لخطيبها تناول هو الآخر مبيداً حـشريا بـدوره في

رد فعل سريع جداً وغريب جداً لم يدع له فرصة أن يتناقش مع نفسه في معاني الموت أو الحياة، أو في حرمانية الفعل الذي سيقوم به. وكأن كل ما كان يشغل تفكيره وقتها لحظة أن تناول المبيد الحشري ألا يعيش بدون خطيبته.

هل تصل مشاعر الوجد والوله والعشق لدى الصعايدة إلى هذا الحد المتطرف؟ سؤال سألته لصديقي الأديب والروائي "خالد إسماعيل" الصعيدي السوهاجي حتى النخاع، وأحد أكثر الباحثين إخلاصا في شئون وشجون الصعايدة وجذورهم، قال لي بانفعال ملحوظ: "المشكلة أننا لا ندري عن بعضنا شيئاً رغم أننا في وطن واحد، والكل يتصور أن الصعيدي هذا كتلة من الحجر لا تحب ولا تعشق، مع أن الصحيح هو العكس". قلت له وعلى وجهي علامات عدم الفهم "أيوه يا أستاذ "خالد" بس ازاي تكون المشاعر الصعيدية بالشكل الملتهب ده، والمجتمع الصعيدي لا يزال رغم بعض الانفتاح مجتمعا مغلقا.. الاختلاط فيه محدود؟"، رد بابتسامة تتسع هذه المرة: "كلامك مضبوط، وإلى الآن تعتبر رؤية فتاة صعيدية مع شاب صعيدي أمراً يثير المشاكل والاختلافات بين الأسر والعائلات. لكن من قال إن ذلك يمنع الحب أو تبادل

المشاعر؟ بل على العكس فإن ذلك يذكيها ويزيد من لهيبها. لاحظ أن أحلى المشاعر هي تلك التي تكون على نقاوتها وبدائيتها قبل أن تلوث. وأحلى مشاعر الحب التي يمكن أن يعيشها الصعيدي هي تلك عندما يحب فتاة صعيدية من نظرة عين دون أن يكلمها كلمة واحدة أو من خلال رؤيتها تطل من البلكونة.. خياله كفيل بأن ينسج قصص حب رائعة. والأمر كذلك بالنسبة للفتيات والسيدات الصعيديات. هل لك أن تتخيل أن هناك إلى الآن في الصعيد سيدات تجاوز عمرهن الأربعين عاما ويرفضن الزواج بسبب فشل قصص الحب التي عشنها مع أقران لهن؟"

هذا عن الحب الذي يدفع الصعايدة للانتحار. ماذا إذن عن الأسباب الآخرى؟

أغلب الظن أن الإهمال الحكومي للصعيد بات يزيد من الأحمال والأثقال التي تقف على أكتاف وظهور الصعايدة؛ ثمة قرى في الصعيد لم يصلها التيار الكهربي بعد. دعك إذن من مياه الشرب النقية أو الصرف الصحي فهذا يعد أمراً يصنف تحت بند الخيال العلمي، فرص العمل متدنية لأبعد حد وهو الأمر الذي لا يضفي على التعليم أية أهمية أو فائدة. وهكذا لا يتبقى أمام بعض

الصعايدة إلا الهجرة إلى العاصمة أو الوجه البحري المحظوظ نوعا مقارنة بالوجه القبلي، بينما تبقى كل الحلول السوداء أمام البعض الصعيدي الآخر الذي قرر البقاء في أرض أجداده. وليقفز الانتحار كحل أسود أخير يلجأ إليه قليلٌ من الصعايدة كما كان في السابق، كثير منهم كما يبدو أنه سيحدث في المستقبل القريب.

ثمة ظاهرة في عالم البحار لفتت انتباه علماء البيئة بشدة، وهي قيام مجموعة من الحيتان بالانتحار الجماعي، إذ تتحرك في مجموعات نحو شاطئ البحر تاركة المياه التي تعيش بداخلها لتموت على رمال الشواطئ الساخنة. لا توجد أسباب علمية واضحة لذلك الانتحار إلا أن بعض الاجتهادات قالت إن السبب الرئيسي لذلك يرجع لحدوث "تحول في الموجات داخل البحر" بشكل يكون في الأغلب "عكس حركة الحيتان في البحر". ولذلك تجد الحيتان أنها لا يمكنها التأقلم مع هذه الحركة فتدفع بنفسها منتحرة إلى الشاطئ. من الحيتان إلى الصعايدة تبدو أسباب الانتحار فيما يبدو واحدة.. تيارات المياه تسير عكس الاتجاه. وإذا كان من يملكون القدرة على تحويل اتجاه الموجات لصالح الصعايدة غير معنيين بذلك على الأرجح، فما نأمله فقط ألا تنتقل عدوى الانتحار الجماعي من الحيتان إلى الصعايدة.

هو يا كده.. يا مفيش لعب؟!

لعلك تذكر هذا المشهد جيداً.. ربما مرّ عليه عدة سنوات وربما كنت تعيش أحداثه بالأمس فقط.. لكنه غالباً -إن كان هذا أو ذاك- فإنه سيحمل ذات التفاصيل.

بعد أن قررت أنت وشلة أصدقائك أن تلعبوا معا ماتش كورة معتبر وتم تقسيم الشباب الحلو ده إلى فريقين "خمسة على خمسة"، وخلاص هيبدأ اللعب.. أهه.. ظهر "حمقة" أو "سيد" أو "عبعزيز".. أيا كان اسمه.. هو بنفس ملامحه الغليظة وجسمه المتكور وبعدوانيته الواضحة. سيقف في وسط الملعب ثم سيجعر وسيقول: "أنا عاوز ألعب.. وهو يا كده يا مفيش لعب"! طبعا كنت تحاول جاهداً أنت وشلتك "يا عم ربنا يهديك.. مايصحش.. احنا خلاص قسمنا الفرق.. دي مش طريقة ولا أسلوب"، وبرضه يظل "حمقة" على موقفه مردداً جملته الأثيرة: "هو يا كده.. يا مفيش لعب!".. وبغض النظر عن الطريقة التي ينتهي بها هذا الصراع عادة -إما أن تتجمعوا مع بعض وتموّتوا

"حمقـة" ضـرب، أو يفـرض هـو سـيطرته علـى الأمـر وفعـلا ماتلعبوش-! فإن اللافت أن نظريـة "هـو يا كـده.. يـا مفيش لعب!" لم تعد مقتصرة على العيـال الصغيرة الرزلـة، ولم تعـد تظهر في مباريات كرة القدم التي نلعبها في الشارع أو في الحـارة، وإنما امتـدت واستـشرت وأصـبحت ثقافـة عامـة لـدى المصريين. الأدهى أنها متأصلة لدى المثقفين الكبار وأصحاب الـرأي العظـام الذين يفترض فيهم أنهم القدوة والمثل. وإن كنت عـاوز تفاصيل.. أقول لك.

في نوفمبر عام 2005 وبعـد أن حـصل الإخـوان المسلمون على عدد كبير مـن مقاعـد مجلـس الـشعب وصل إلى 88 مقعـدا، تعامـل كـثيرون مـع مـا حـدث بقلـق شـديد ورأوا أن هـذا إشـارة لتصاعد المد الديني ولتـشابك وتـداخل -ينـذر بـالخطر- مـا بـين الدين والسياسة. وأنـه يطرح الأسئلة حول مصير الأقبـاط وموقـف الإخوان من المرأة في حالـة وصـولهم للحكـم. ومالـه؟ عـادي جـدا وبيحصل.. من حق الجميع أن يعبر عـن آرائـه ومخاوفـه وقلقـه. لكن أن يخرج -وقتها- المفكر القبطي د."ميلاد حنا" ليقـول بأنـه لو وصل الإخوان للحكم فإنه سيلم حقائبه ويرحل من مصر لأنـه في هذه الحالة لن يكون له -بوصفه مسيحيا- مكان فيهـا. فـده - اسمحوا لي- عيب وغلط جدا.. لأن الوطن ليس مباراة كرة قدم إما

أن نلعب فيها أو يبقى مفيش لعب. مش بس مفيش لعب لأ.. ده احنا بنرش الملعب مية.. عشان ماحدش يلعب فيه غيرنا. وإذا كان د."ميلاد حنا" قد تراجع عن رأيه الغريب هذا فيما بعد وقال بأنه خرج منه في لحظة انفعال نادرة وبفعل صدمة العدد الكبير الذي حصده الإخوان في مجلس الشعب. فما -إذن- عذر الكاتب الكبير "أسامة أنور عكاشة"؟!

الأكيد أنه لا أحد -منصف- يمكنه أن يبخس هذا الرجل حقه، فهو عميد الدراما العربية بحق، وله من المسلسلات ما يمكن وصفه بالملحمة بكل ما تحتويه من دقائق وتفاصيل وغوص في خبايا النفس وتشريح للحارة وللشارع وللشخصية المصرية - نظرة واحدة على مسلسلات ليالي الحلمية وأرابيسك والراية البيضا وزيزينيا وغيرها كفيل بذلك -وهو ما يعني أن هذا الرجل مغموس بالمصرية حتى النخاع، فكيف له إذن هو الآخر أن يقول -في حوار منشور في أواخر 2006 بـ"المصري اليوم"- بأنه لو وصل الإخوان إلى الحكم فأنه سيلملم حاجياته وسيرحل عن البلد لأنه لن يكون هناك وقتها مجال لحرية الثقافة والفنون!

نفس النظرية.. "هو يا كده.. يا مفيش لعب!".. إما اللي يحكمونا يكونوا على مزاجنا وعلى هوانا، وإما مش طالبة أي حاجة تانية وبينا يا عم نخلع من البلد ونسيبها للي فيها..

كويسين وحشين احنا مالنا.. طالما مالعبناش يبقى مفيش لعب!

لست بصدد الدفاع عن الإخوان لأن لديهم -أكيد- من يقوم بذلك، ولعلي لدي أنا أيضا -إذا جاز أن أقول أنا وأيضا هذه!- بعض التحفظات على أفكار الإخوان وعلى تصرفات بعضهم التي تميل أحيانا إلى التشدد، لكن إذا وصل الإخوان إلى الحكم -وهو احتمال مستبعد بالمناسبة- فلن أقول "مش لاعب"، وسأظل في مصر أناقشهم وأنتقدهم فيما يخطئون فيه محاولاً إصلاحه على قدر ما أستطيع.. لأن الوطن وطننا جميعا وليس وطنا مملوكا لمجموعة بعينها. ولأن الإخوان -أو غيرهم- إذا وصلوا للحكم فلن يكونوا أسوأ من الاحتلال الإنجليزي الذي ظل في مصر 72عاما كاملا (1882-1954) لم نسمع فيها عن مفكر خلع من بلده، أو كاتب قرر الهجرة، وإنما جميعهم -الوطنيون منهم على وجه الخصوص- ظلوا في أماكنهم يقاومون الاحتلال كل على طريقته.

ربما تغير الأمر بعد قيام الثورة التي عندما نبتت لها أنياب طالت الكثيرين فقرر البعض أنه "مش لاعب" وهاجر خارج مصر. ولا يمكن لأحد أن يزايد على وطنية هؤلاء ومن الصعب أن يتخيل المرء ما كان يعانيه كثير منهم في المعتقلات

والسجون. لكن على الأقل هؤلاء لم يفلنسعوا خارج البلاد فور أن حطت الثورة أوزارها. وإنما قاوموا لفترة على قدر استطاعتهم حتى خارت قواهم، فهاجروا. ذات الأمر يتكرر الآن في عصر الرئيس "مبارك". فلسنا جميعا نحيا في نعيم مخلد، ولا هي باظت ولا خربت ولا جابت جاز لا مؤاخذة ولسنا طبعا نحيا في عيشة ظريفة خالص. لكن إذا كان لنا أن نتفهم أسباب هجرة بعض الشباب المصري الذي ضاقت به الدنيا في وطنه، فكيف نتفهم فكرة "الانخلاع الوطني" تلك التي يرددها بعض المثقفين على أسس فرضية لن تحدث غالبا -وصول الإخوان إلى الحكم-.

أين إذن الخطب الكبيرة الرنانة عن مقاومة الفساد والتطرف والانحراف؟ أين إذن الأمثلة التي يضربونها بـ"ابن خلدون" و"ابن رشد" و"محيي الدين بن عربي" وغيرهم؟ ولاّ الحاجات دي بتطلع في التليفزيون والمسلسلات وبس ووقت الجد لا يوجد سوى الحل الطفولي الشهير "هو يا كده.. يا مفيش لعب"؟!

تحرش وسط البلد..

ابحث عن "السناف"!

كنت في القاهرة في ثالث أيام عيد الفطر الماضي.. تحديدا في منطقة "وسط البلد" التي كانت أرضا لمعركة تحرشية أصيلة في اليومين السابقين. ولا أخفي عليكم أني لم أكن قد صدقت أن ما حدث قد حدث وكنت أحادث نفسي: "ازاي يعني يكون فيه تحرش جماعي.. أمال فين الأمن، فين الناس الجدعان.. فين رجالتك يا مصر؟!" إلا أن ما حدث في هذا اليوم -ثالث أيام العيد- جعلني أتصور أن ما حدث -ياللهول والصاعقة- قد حدث بالفعل.

كنت أسير في أحد شوارع وسط البلد "26 يوليو" بالقرب من سينما "ريفولي" عندما حدث ما يلي: هيييييييه... هييييييييه!"، مجموعة من الشباب الذين تتراوح أعمارهم ما بين الخامسة عشر والخامسة والعشرين يتحركون -للدقة- يجرون في شكل جماعي وهم يطلقون صرخات ويضحكون بصوت عال ويقطعون

الطريق بعرضه فيعيقون السيارات والناس عن التحرك.. بصراحة.. خفت!

حالة الهياج والجنون التي كان عليها هؤلاء كفيلة بأن تفزع أشد الرجال صلابة. ولأني كنت قد تابعت عبر المدونات ما حدث من تحرش جماعي من هؤلاء أو ربما من غيرهم مع البنات السائرات في الطريق، فتنحيت جانباً خوفاً من أن يكون الهياج وصل بهم لدرجة لا تجعلهم يميزون بين رجل وامرأة. واللي ييجي في سكتك خده!

ثم لمحتهم يخترقون شارع "شريف" بنفس هيئتهم وتجمعهم وحالة الجنون التي هم عليها.

ولفت انتباهي أكثر من شيء:

أولا : أن فزع السائرين في الشارع لم يكن ظاهراً أو بادياً مما يوحي بأنهم تعودوا على هذا الأمر أو شاهدوه من قبل.

ثانياً: أني لم ألمح أي ضابط شرطة أو حتى خفير نظامي حاول أن يفرق هذا التجمع الشيطاني "قانون الطوارئ الذي نعيش في ظلاله يعتبر أي تجمع يزيد على خمسة أشخاص تنظيم يسعى للانقلاب"!

ثالثاً: على قدر ملاحظتي السريعة لم ألمح تحرشاً واضحاً من

هذا التجمع بفتيات أو سيدات وإنما كانوا يتحركون بكل هذه الفوضى وكل هذا الهيجان غير مبالين بمن يصطدمون به رجل.. امرأة.. تاكسي.. عمود نور.. المهم أن يتحركوا بهذا الشكل الفوضوي الجنوني فقط

وبعد أن خرجت من هذا الأتون حامداً ربي بأنه لم يصبني أذى مباشر رغم أن المنظر يحدث في المرء أذى نفسيًا بالغًا، ويجعلك تموت رعباً عندما تتصور حال الوطن إذا ما قرر هؤلاء وغيرهم أن يتحركوا في فوضى منظمة –بدافع الفقر والحاجة– لتخريب البلد وحتى ينالوا منها ما حرموا منه طوال السنوات المنقضية، بعدها صرت على يقين بأن هناك تحرشات حدثت بالفعل يومي العيد الأولين.

وفي تصوري –الذي ربما يكون خاطئاً– أن الأمر لم يكن مدبراً. مجموعة من الشباب أرادت أن تمرح بطريقة فوضوية سوقية فقرروا أنهم سيجرون ويهرولون في وسط البلد مطلقين المزيج من أصوات "العووو.. والبخ... واوعى وشك" وما إلى ذلك. وعندما حدث هذا سقطت فتاة في وسطهم أو احتكوا بواحدة فانكشف جزء من جسدها، أثارت شهوتهم الملتهبة بالأساس فقرروا أن يكرروا ما حدث بشكل منظم ولا يتركونه للصدفة محتمين ببعضهم البعض

لأن الفكرة السائدة لدى المصريين -وبها كثير من الصحة بالمناسبة- أن الخطأ الجماعي من الصعب توقيف أصحابه بينما الخطأ الفردي من السهل الإيقاع بصاحبه -انظر إلى العديد من المناطق العشوائية في مصر التي تعد دولاً مستقلة بذاتها ولا يجري فيها قانون لأن أهاليها محتمون ببعضهم البعض-.. فكان ما كان.. اخبط هذه الفتاة.. انزع حجابها أو قميصها أو جيبتها.. اظفر بمتعة سريعة.. ارو شهوتك -طبعا هو هكذا يؤججها- اجرِ ولن يقبض عليك أحد.

الأمر أشبه بنوعية من الأفلام السينمائية التي تتداول على نطاق محدود في أمريكا وأوروبا وتعرف باسم "سناف Snuff"، وفيها يتم تصوير جريمة قتل حقيقية تكون عادة مسبوقة باغتصاب لامرأة جميلة مع كثير من الأفعال السادية. وفي هذه الأفلام يختلط الواقع بالخيال فلا تعرف إذا كان ما تشاهده في هذا الفيلم حقيقيا أم مزيفا؟ هل جريمة الاغتصاب والقتل هذه سينمائية أم مصورة من الواقع؟

بالقطع لم يكن هناك أحد من أبطال يوم التحرش هذا يعرف شيئاً عن أفلام السناف هذه، لكنهم أرادوا أن يصنعوا فيلمهم على طريقتهم الخاصة. فيلم بلا حدود تقليدية وبلا رقابة، فيلم يشبع رغباتهم الشاذة -لا يوجد وصف للتحرش والاعتداء العلني سوى

الشذوذ- وفي نفس الوقت هو فيلم يضمن لهم الأمان وعدم الملاحقة الأمنية.

تسأل أنت عن السبب وراء ما حدث؟

القائمة تطول.. لا تبدأ من الانحدار التعليمي "برعاية حكومية أصيلة" والتفكك الأسري ولا تنتهي بالفقر المستشري والتدين المزيف -لاحظ أن المحجبات لم يسلمن من الأذى- وإذا أردت أن تضع تأخر سن الزواج مع الأسباب فهذا حقك لكن لاحظ أن هذا يختصر مؤسسة الزواج في علاقة جنسية لا أكثر.

ولكل هذا لا تتعجب إذا تكرر الأمر ثانية.. لاحظ أنه يحدث كل يوم تقريباً في المترو والأتوبيس والشارع والحديقة بل إنه يأخذ شكل "تحرش توافقي"، إذ يتم برضاء الطرفين في نسبة لا بأس بها.

حال مصر الآن -للأسف- أصبح في كل نواحيها السياسية والاقتصادية والاجتماعية منها أشبه بفيلم رعب طويل وقاتم، ولهذا من المنطقي جدا أن تكون حياة المصريين مثل أفلام "السناف" الحقيقية!



الفهرس

عن البولوتيكا..

* * *

كلام عن الكاتب

محمد هشام عبيه
مواليد 17 مايو - شربين - الدقهلية 1980
بكالوريوس علوم وتربية
صحفي بجريدة الدستور

* * *

صدر له:
* "الإنسان أصله.. جوافة" - طبعتين
* "عزيزي 999"
* "الحالة ميم"

كتب سيناريو الفيلم الوثائقي "سيد درويش.. فنان الشعب" لصالح قناة النيل لايف.
شارك بالكتابة في حلقات البرنامج الكوميدي "حكومة شو".
شارك بالكتابة في الفيلم الوثائقي " صلاح جاهين.. سيرة فنان وحياة شعب".

* * *

مشاريع مؤجلة حتى يفرجها ربنا
* 128
* ورق الورد
* خمس خمسات
* 366 فيلم
* الوسيط "رواية"
* تحت الطلب "مجموعة قصصية"

* * *

البريد الإلكتروني:
mhebia@gmail.com

مقالات

محمد هشام عبيه

الإنسان أصله جوافة

بس برضه الجوافة دي مش زي جوافة زمان..

تعرف زمان كنا بنفضل الجوافة دي عن أي فاكهة تانية..

كانت للجوافة ريحة وطعم مختلف.. دلوقت.. تؤتؤ.. انسَ.. ماعادش لأي حاجة ريحة وطعم..

حتى البشر.. دلوقت ماعادش ليهم لا لون ولا طعم ولا رائحة..

الناس بقوا زي جوافة اليومين دول.. ممكن يكون شكلها حلو من بره.. بس من جوه مالهاش أي طعم.



دار ليلى

15 ح